# الفِتَنُ والمَلاحِمُ وأشْرَاطُ السَّاعَةِ

إعداد

أسامة بدوي

الجزء الأول

(علامات الساعة الصغرى، ونصائح النبي ﷺ لأمته حين وقوعها)

(الطَّبعة الأولى)
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٥٦٣١ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: ١ - ٠٥٠ - ٧٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مكتبة البلد الأمين:
تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤
دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقدِّمة

بعد حمد الله تعالىٰ، والثناء عليه بما هو أهلُه، والصلاةِ والسلام الأتمَّيْن الأكمَلَيْنِ علىٰ خير الأنام محمدٍ بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ كل مَن تمسَّك بسنَّته، وتبع نهجه، ووالاه إلىٰ يوم الدِّين.

**وبعد:**

• فمن رحمة الله تعالىٰ بهذه الأمَّة الخاتمة وفرة الآيات والأحاديث المتضمِّنة لأحداث المستقبل (كالفتن والملاحم وأشراط السَّاعة)؛ ولتكون الأمَّة علىٰ بيِّنة من أمرها، وتضع الدواء الناجع لكل ما تتعرَّض إليه من أدواء، وبشارة ترفع من همَّتها حال هوانها.

• وليس الهدف من ذكر أشراط السَّاعة وقت الأزمات والكروب مجرَّد بثِّ الأمل في أمَّة يائسة، أو تسكين الألم في أمَّة مجروحة يكيد لها الأعداء كيدًا تزول منه الجبال، ولا ترىٰ بصيص أمل عبر نفقها المظلم الذي أوقعت نفسها به.

• إن علم أشراط السَّاعة علمٌ عزيز، يجب ألَّا تُحرَم الأمَّة من الاستفادة الإيجابيَّة منه خلال واقعها الممزوج بأمل الصحوة، وألم اللحظة، وعقدة المخرج، وعظمة الأمانة.

***

ولقد بذل الدكتور محمد بن أحمد المبيض - حفظه الله - مجهودًا كبيرًا ليس فقط في جمع ما ورد من الأحاديث والآثار وأقوال الأئمة الأعلام، ولكن أيضًا فيما ذكره من خلاصة فكره وفهمه للإسلام ووعيه وإدراكه للواقع، ولكنه كبشَر وقع فيما يقع فيه البشر من النقصان؛ إذ ليست العصمة إلا لكتاب الله وسنة نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأردت بهذا المختصر تيسيرَ هذا العلم للقارئ، والاستفادةَ من هذا العمل الجليل لهذا الرجل الجهبذ العالِم، وتجنُّبَ بعض الزَّلَل مما وقع فيه، وردَّ التأويلات الفاسدة، وحذفَ الآثار والأحاديث الضعيفة، والاقتصارَ على الصحيح منها، ولشدَّة الحاجة إلى فهم صحيح وإسقاط سليم على الواقع، فهو يشخِّص في هذا الكتاب [1] الداء، ويصف الدواء، ويعلِّمنا كيفيَّة الاستفادة الصحيحة من هذا العلم المهمِّ الذي لا يَستغني عنه مسلم في كل هذه الأحداث.

وأسأل الله تعالى لي ولمؤلفه وقارئه الهداية والتوفيق والرشاد والحفظ من الفتن ومُضلَّاتها ومُعضلاتها، وأن يهدينا إلى الحقَّ، وأن لا يجعله ملتبسًا علينا، وأن يحفظنا بما يحفظ به عباده الصالحين.

**والحمد لله رب العالمين**

**كتبه**

**أسامة بدوي**

---

(١) الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط السَّاعة، د. محمد أحمد المبيض، يقع في (٨٧٠) صفحة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

# الباب الأول

## الفصل الأول

## اهتمام القرآن والسُّنَّة بعلامات السَّاعة

• قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ]، والنبأ هو البعث وخبر السَّاعة، وهذا يشير إلى أن مقدِّمات هذا الأمر العظيم لا بد أن تكون عظيمة يجب تعلمها والاهتمام بها.

• وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾ [محمد].

وهذا تصريح بأن السَّاعة لها أشراط قد بدأت؛ مثل انشقاق القمر.

• وقال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

ففي هذه الآية دلالة على أن السَّاعة قريبة جدًّا من الناس.

• وفي حديث جبريل المشهور عندما أتى في صورة رجل وسأل النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والسَّاعة وأماراتها (١).

فذكر السَّاعة وعلامتها بعد ذكر الإسلام والإيمان والإحسان؛ لبيان أهميَّة تعلم هذا العلم، وجواز السؤال عنه، وجاء التنبيه بالسؤال وهذا مما لم يعهده الصحابة.

• وصلَّى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفجر ذات يوم، وجلس يُحدِّث الناس

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ح (٨)، ب: معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعلامة السَّاعة.

حتىٰ العشاء، لا يقطع حديثه إلا الصلاة، حدَّثهم بما هو كائن إلىٰ يوم الدِّين، وأعلمُ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يومَها أحفظُهم (١).

وهذا المقام الطويل في مجلس العلم لم يُعهَد مثله عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث كان يتخوَّل أصحابه بالموعظة الخفيفة مخافة السامة؛ مما يدل علىٰ خطورة هذا الأمر.

وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يترك مناسبة إلا وينبِّه فيها إلى بعض علامات السَّاعة، ومن ذلك:

- استيقاظ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في جوف الليل منذِرًا بِشَرٍّ قد اقترب، وهو بداية فتح ردم يأجوج ومأجوج.
- نداء النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ «الصلاة جامعة» ليسمعهم ما يُحدِّث به تميم بن أوس الداري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عما رآه فيما يخصُّ الجسَّاسة والدَّجَّال (٢).

فهذا العلم (أشراط السَّاعة) منارات علىٰ الطريق، ومعالم تصحيح مسار الأمَّة، ويجب أن يكون في أعلىٰ سُلَّم أوليَّات الأمَّة.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم، ك: الفتن، بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعة، ح (٢٨٩١، ٢٨٩٢).

(٢) الحديث أخرجه مسلم، ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: قصة الجسَّاسة، ح (٢٩٤٢).

# الفصل الثاني

## اهتمام الصحابة الكرام بعلامات السَّاعة والفتن

• عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: { **مَا تَذَاكَرُونَ؟** }، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعة، قَالَ: { **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** }(١).

• وعَن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الفِتْنَةِ، قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ»، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «البَابُ عُمَرُ» (٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعة، ح (٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: مواقيت الصلاة، ب: الصلاة كفارة، ح (٥٢٥)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، ح (١٤٤).

• « تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ»: كناية عن شدَّتها، كاضطراب البحر عند هيجانه، أو كناية عن استمراريتها وتتابع أحداثها.

وفي الحديث إشارة إلى أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سدًّا مَنيعًا بين الأمَّة والفتنة (وهذا من ثمرات عدله، وقوته في الحق)، وبموته تترادف المحن، وكان عمر يعلم ذلك،

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَغَمَزَهَا، وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَرْسِلْ يَدِي يَا قُفْلَ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَمَا قُفْلُ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَجَلَسْتُ فِي آخِرِهِمْ، فَقَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا تُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ هَذَا فِيكُمْ** }(١).

وبمقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُسِرَ الباب الذي يحجز الفتنة التي تموج كموج البحر.

• وعَنْ أبي إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّة وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: { **نَعَمْ** } قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: { **نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ** } قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: {**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ** } قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: { **نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا** }. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: { **هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،**

---

**(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، بإسناد رجاله ثقات، ح (١٩٤٥)، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، (٦/ ١٧٠١).**

وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ﴾ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ﴿ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ﴾، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ ﴿ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ ﴾(١).

• عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَىٰ إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعة، قَالَ: فَقَعَدَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مُتَّكِئًا -، فَقَالَ: « إِنَّ السَّاعة لَا تَقُومُ، حَتَّىٰ لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ »، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ (٢).

وهذا الحديث يُبرِز مدىٰ اطِّلاع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ علامات السَّاعة وتصوُّرِهم لمراحلها، وضرورة معرفتها حتىٰ لا يضطرب الفهم، أو يختلط الأمر في إسقاط الحوادث وتحميلها ما لا تتحمل، حيث صحَّح ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرجل سوءَ فهمه وظنَّه بأن الريح الحمراء مقدِّمة السَّاعة.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، ح (٣٦٠٦)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، ح (١٨٤٧).
(٢) أخرجه مسلم، ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، ح (٢٨٩٩).

## الفصل الثالث
## أهميَّة دراسة علامات السَّاعة

وتتمثَّل أهميَّة ذلك في:

**١ـ** أنَّ معرفة علامات السَّاعة امتدادٌ للوحي، فمازال يتجدَّد مع الأمَّة إلى قيام السَّاعة من خلال علامات السَّاعة؛ وكأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَيٌّ بين ظهراني الأمَّة، يَستبين بها الحقُّ من الباطل، وتُدفَع بها الشبهات.

**مثال:** القتال الذي حصل بين معاوية وعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقتال عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للخوارج الحروريَّة، فتبين أن طائفة عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانت أَوْلَى الطائفتين بالحق، ودفعت الشبهات من قلوب مَن شارك في قتال الحروريَّة عندما علموا بأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد نعَتَهُم نعتًا دقيقًا. فما زال الوحيُ يتجدَّد مع الأمَّة إلى قيام السَّاعة.

**٢ـ** أنَّ معرفة علامات السَّاعة تعزِّز معاني الإيمان في قلب المؤمن بصدق رسالة النَّبيِّ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما ينظر إلى ما حولَه من الفتن والأحداث، ويجِدُ وصفًا دقيقًا لها في السُّنَّة النبويَّة؛ حيث تتجدَّد أمام أعينهم معجزاتُ نبيِّهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من خلال معاينة مصداقيَّة ما أخبر به عند تحقُّقِه بنفس الوصف.

**٣ـ** في معرفة علامات السَّاعة وصف للعلاج الرباني لكل ما يُصيبنا من مواطن الزَّلَلِ والسُّقوط؛ كما في حديث الوَهَن الذي رواه ثوبان مولى النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مبينًا علَّة الأمَّة من الفُرقة والغثائيَّة والوَهَن، ثم يصِف العلاج بعد أن بيَّن أن سبب الداء يتمثَّل في حبِّ الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ (١).

---

(١) انظر كتابنا: طلب الهمة في علاج أخطر أمراض الأمَّة (الفرقة والاختلاف، والغثائيَّة والوهن).

**٤ـ** معرفة علامات السَّاعة تدفع عن المسلم الخوَر والضعف والهزيمة النفسيَّة، وتعزِّز تمسُّكه بتعاليم الدِّين؛ فالمسلم عندما يعايش واقِعًا مؤلمًا ـ وقد يُملَىٰ عليه أن يستسلم له بما يحمله من انهزام وذلٍّ ومهانة ـ يجد عندما يدرس علامات السَّاعة أن استمراريَّة هذا الواقع ليست حتميَّةً، وأن للأمَّة المسلمة جولاتٍ ستغيِّر من واقعها الأليم الذي وقعت فيه بسبب تضييعها للأمانة، وتفريطها بمقتضيات الرسالة؛ عندها تدبُّ الحياة من جديد في قلب المسلم، وهو يطالع المبشِّرات (بالنصر والتمكين) التي بشَّر بها الرسول الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتتجدَّد همته للعمل لهذا الدِّين؛ ليكون جزءًا من قدر الله عَزَّوَجَلَّ في تغيير حال الأمَّة.

• فعندما يرىٰ المسلم الغثائيَّة وحبَّ الدنيا والتشرذم والانهزام الذي أصاب العالم الإسلامي، يعقب عنده السخط وصعوبة تغيير هذا الواقع، فإذا قلَّب صفحات السُّنَّة يرىٰ أن هذا الواقع ليس حتميًّا، فقد تكفَّل الله بأن يبعث لهذه الأمَّة مَن يجدِّد أمر دينها، وهناك طائفة قائمة علىٰ الحق في الأمَّة إلىٰ قيام السَّاعة.

• وعندما يرىٰ القدس وما آلت إليه، ومن خزي الأمَّة في عدم نصرتها يصيبه اليأس، إذا هو يرىٰ البُشْرَىٰ بأنها ستكون مهد العالميَّة للإسلام، وفي ربوعها سيتم وأد الفتن في آخر الزمان (ومنها فتنة الدجَّال)، وأن الأرض سوف تُملأ عدلًا كما مُلِئَتْ جورًا ـ بإذن الله تعالىٰ، وكما أخبر رسولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ.

**٥ـ** أنَّ معرفة علامات السَّاعة تُغذِّي فضول الإنسان وفطرته نحو استكشاف المجهول والخوض في الغيب؛ فيأتيه الوحي بالصحيح ليخرجه من دوامة التِّيهِ والخُزَعْبلات والأوهام والكهانة والتنجيم.

٦ـ أنَّ دراسة علامات السَّاعة تُعين علىٰ فهم طبيعة المرحلة التي يَعيشها المسلم، بل تطرد عنه هذه النظريَّة الاتِّكاليَّة، والانهزاميَّة في الاستسلام للواقع وانتظار المهدي عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ لتغيير الواقع.

فهذه النظريَّة الاتِّكاليَّة تدعو المسلم للانهزام والاستسلام لمقصلة الأعداء في المذبحة الكُبْرَىٰ التي يجهِّزُها له أعداؤه، بحجَّة أن ذلك قدر لا مفرَّ منه.

• وللردِّ علىٰ هؤلاء نقول: إن هذه الفتن التي نحياها هي عبارة عن نتائج لمقدِّمات وقعت فيها الأمَّة بسبب تهاوُنِها بأمانة الدِّين، وتتبُّعها لليهود والنصارَىٰ، فهل نعالِج النتائج بالاستسلام أم بالاجتهاد والإعداد ؟!.

لقد واجه الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واقعًا أشدَّ من ذلك، ولم يستسلموا له، فالرضا بالواقع المنحرف هو عين الوقوع في نتائجه المدمِّرة، وسبب رئيسي من أسباب الهلاك.

ومَن يطَّلِع علىٰ أحاديث الفتن يرىٰ أنها تضمنت العلاج لما يقع به المسلمون فيها، والذي تدفع به هذه الفتن. منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** }(١).

فالمبادرة بالإكثار من الأعمال الصالحة تدفع الفتن عن الأمَّة، وهذا يطالبنا بإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وإحياء فريضة الجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، ح (١١٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• ونحن أُمِرنا أن ندفع قدر الله تعالىٰ بقدره جلَّ وعلا، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في طاعون الشَّام: « يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَىٰ قَدَرِ الله »(١).

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: «ليس الرجل الذي يسلِّم للأقدار، وإنما الرجل الذي يدفع الأقدارَ بالأقدارِ »(٢).

**٧-** الإيمان بخروج رجل من أهل بيت النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في آخر الزمان لا يعتبر مَسلكًا للبعض للهروب من الواقع وعدم السَّعي في تغييره، بل العكس هو الصحيح؛ حيث إن من مقتضيات هذا الإيمان أن يعزِّز معاني القيام بأعباء الرسالة عند كل مسلم، فالإيمان بخروج المهدي في آخر الزمان يجدِّد شعلة الأمل في قلب المسلم، ويحرِّكُه للإعداد لتلك المرحلة أو سابقتها.

• وليست مشكلة الأمَّة في خروج رجل لإصلاحها فقط، بل مشكلتها في مدىٰ استعدادها لهذا الدِّين، ومدىٰ استقامتها علىٰ نهجه، ويكون خروج المهدي بمثابة المجازاة لها علىٰ هذا الاستعداد؛ لذلك أرَىٰ ضرورة أن يتواجد في الأمَّة مَهدِيُّون كُثُر يُمَهِّدون للمَهدي المنتظَر جهده.

فالمراحل التي تسبق المَهدي ستشهد ميلاد جيش من الربَّانيِّين الذين يُمهِّدون له، ويستحقُّون خروجه لإعزاز الدِّين.

فإشكاليَّة الأمَّة ليست في كيفيَّة النصر، بل تكمُن في تحقيق مواصفات استقامة النصر، لا تقولوا كيف نَنتصر، ولكن قولوا متَّىٰ نستحقُّ النصر؟!

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الطب، ب: ما يذكر في الطاعون، ح (٥٧٢٩).
(٢) من نبوءات الرسول، العلي، ص (١٨).

# الباب الثاني

# تأصيل علم أشراط السَّاعة

## الفصل الأول

## مصطلحات لها علاقة بعلم أشراط السَّاعة

أهم هذه الاصطلاحات:

(الأشراط، الأمارات، الآيات، العلامات الصُّغْرَى والكُبْرَى).

١ـ **الأشراط:** الشَّرَط - بفتح الشِّين والرَاء - في اللغة: العلامة، وجمعُها أشراط، والاشتراط العلامة التي يجعلها الناس بينهم [١].

فالأشراط هي العلامات أو الإرهاصات والمقدِّمات الدالة على قرب السَّاعة، وقيل المراد العلامات الصُّغْرَى لقرب قيام السَّاعة؛ لذا عبَّر القرآن عن العلامات التي بدأت ببعثة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأشراط [٢].

٢ـ **الأمارات:** أصل الأَمارة بفتح الهمزة من الأمر، وهو العَلَم الصغير من الحجارة الذي يضعه عابرو الصحراء كعلامات، والأمارة العلامة، أو الوقت المحدَّد [٣]، وفيه إشارة إلى العلامة الصُّغْرَى، وليس الكُبْرَى من علامات السَّاعة.

٣ـ **الآيات:** الآية: الدليل والعلامة على صدق وقوع الشيء، أو هي الأمر العجيب المفضي للاعتبار [٤].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٣٢٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٧٥).
(٣) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣٢).
(٤) المصدر السابق (١٤/ ٦١).

وتستخدم مع العلامات الكُبْرَىٰ لأنها تتضمن العلامة والدليل والشيء العُجاب.

**٤ـ لا تقوم السَّاعة :** بيان أن هذه الأمور التي أخبر بها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا محالةَ واقعة في الحياة الدنيا وإن بعدت المسافة بين حصولها وبين قيام السَّاعة.

**٥ـ العلامات الصُّغْرَى والكُبْرَى :** هذا التقسيم قسَّمه العلماء، ولم نعلم نصًّا نبويًّا يدل عليه، والعلماء قسَّموه بناءًا على الأصل اللُّغَويِّ، فما عبَّر عنه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالآيات اصطلح العلماء على تسميته بالعلامات الكُبْرَىٰ، وما عبَّر عنه بالعلامة أو الأمارة اصطلح العلماء على تَسميته بالعلامات الصُّغْرَىٰ.

وليس شرطًا وقوع العلامات الصُّغْرَىٰ كلها قبل الكُبْرَىٰ، فقد تقع علامة صُغْرَىٰ بعد وقوع علامات كبرىٰ، ومن ذلك: هدم الكعبة الذي يقع بعد يأجوج ومأجوج والدجَّال وعيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكذلك علامة رفع القرآن، وانتشار الزِّنا في الطُّرُقات - حفظنا الله وإياكم -.

- وكثير من العلامات الصُّغْرَىٰ وقعت، وبعضها مُتداخل مع الكُبْرَىٰ مثل: حَسْرِ الفُرات.



# الفصل الثاني

## المصادر الأصليَّة لعلامات السَّاعة

### أولًا: مصدر الأمور الغيبيَّة هو القرآن والسُّنَّة (الوحي):

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف].

وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[هود].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾[النمل].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾[الجن].

- وعلامات السَّاعة من أمور الغيب، فلا بد في إثبات أي علامة منها أو نفيها من مصدر موثوق به، والمصدر الوحيد الموثوق به في هذا الباب هو الوحي (الكتاب والسُّنَّة).

وقد تُقبَل بعض آثار السَّلَف من الصحابة والتابعين؛ لأن ما يُؤثَر عنهم إما مرجعه النقل من الكتاب والسُّنَّة، أو يكون منشؤه قرائن تحصل لبعضهم من عدَّة قرائن نقلية من الكتاب والسُّنَّة، ولقرب عهدهم بالوحي.

أو من خلال النقل عن أهل الكتاب أو غيرها من المصادر كالجفر أو الهفت، وهما

من الكتب المزوَّرة التي وضعها الخطابيَّة من الشيعة، وهي أوهام وأكاذيب نسبوها لسيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي كمفعول هدم الوحيَين الكتاب والسُّنَّة، وقد تجد مَن يروِّج لها بين العامة ممن له مصالح هدَّامة وأطماع ونوايا أخرىٰ.

• والكتاب والسُّنَّة قد استوعبا الحديث عن مُجريات الصراع بين الحق والباطل، وعن علامات السَّاعة، فلسنا بحاجة إلىٰ إضافة، والإشكاليَّة تكمن في غياب العقليَّة المتأمِّلة لهذين المصدرين العظيمين (الكتاب والسُّنَّة).

قال تعالىٰ: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[الأنعام:٣٨]، ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾**﴾[النحل].

## ثانيًا: طبيعة القرآن الكريم:

القرآن الكريم أعظم نعمة عرفتها البشريَّة، وهو سبيل خلاصهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

فهو: الكتاب، والذكر، والفرقان، والمجيد، والكريم، والمبين، والنور، والتبيان، والبيان، والفضل، والروح، والحق، وحبل الله، ... وإلخ، وتعدُّد هذه النعوت للقرآن الكريم تدل علىٰ عظمة المنعوت، فكيف إذا كان الذي يَنعَتُ القرآنَ هو رب العالمين؟!

بل قد عظَّم الله ﷻ الوقت الذي نزل فيه القرآن، كتعظيم ليلة القدر، وشهر رمضان لنزول القرآن فيه، إضافة إلىٰ تعظيم جبريل فوق سائر الملائكة لتوكُّله بالوحي، وتعظيم النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ سائر الأنبياء لنزول أعظم كتاب عليه وهو القرآن الكريم، وتعظيم أمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفس السبب، وكفىٰ شرفًا

أنها أمَّةالقرآن.

• والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وينتج عن ذلك اعتباره المصدر الأول من مصادر علامات السَّاعة والفتن والملاحم.

فهو معجزة نبيِّنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويتضمَّن وحيًا متجدِّدًا، ومعانيَ متتابعة تفوق أفهام البشريَّة وعقولها إلىٰ يوم السَّاعة بما يستحيل أن يصدر مثلُه عن بَشَرٍ، لا يشبَع منه العلماء، ولا يخلَق من كثرة الترداد.

أساليبُه بسيطة يقدِر علىٰ التفاعل معها كلُّ البشَر، يقرِّر أحكامًا وتصوُّرات وتشريعات يقدِر علىٰ فهمها جميعُ البشر، إذا تناوله أولو الأفهام والعقول وجدوا خلف هذه الأساليب بُغيتهم من الحِكَم والأسرار والعِبَر غير المتناهية.

## ثالثًا: كيف نستثمر كتاب الله تعالى كمصدر لعلامات السَّاعة؟

**• القياس على النماذج القرآنيَّة المتعلقة بالأمم السابقة:**

فالقرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وقصص القرآن مجال واسع للتفكُّر والاتِّعاظ من خلال طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وعاقبة كلٍّ من الفريقين، وبالتالي هذه النماذج (من قصص القرآن) كافية لبيان كل صراع مستقبلي بين الحق والباطل، وهذا المقصد عبَّرت عنه الآيات بلفظ ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[يوسف:١١١]، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ۝٢﴾[الحشر].

فهذه الآيات تشير إلىٰ المقصد من إيراد القصص في القرآن الكريم، وهو حصول العبرة للسامع، وتحدث العبرة من خلال قياس الواقع الذي يعايشه علىٰ تلك النماذج، فحيثما وجدت الأسباب ترتَّبت مُسبِّباتها، وحيثما وُجِدت العلَّة وُجِد الحُكْم.

وصراع الحق والباطل لا يتغيَّر في بواعثه وأهدافه، ولا مناهجه.

والسُّنَّة الإلهيَّة في التعامل معه إلى قيام السَّاعة، فإن ما سيقع في الأمَّة من علامات وملاحم هي امتداد للقصص في القرآن والسُّنَّة، ويترتَّب عليه نفس السُّنَّة الربانيَّة، والنماذج التي ذكرها الله تعالى في كتابه وعلَّمها لنبيِّه من بين عدد الأنبياء والمرسلين هي غاية ما تحتاجه أمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام السَّاعة في فهم طبيعة صراعاتها وملاحمها، وما يترتَّب عليها.

سيتكرَّر النموذج النمرودي، والنموذج الفرعوني، ونموذج مؤمن آل فرعون، ونموذج سحرة فرعون، ونماذج أصحاب الأخدود، وفتية الكهف، وأصحاب الغار.. وغير ذلك.

وسيتكرَّر ما أخبر به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: { **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**}، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: { **فَمَنْ ؟**}(١).

ستتكرَّر عقدة البقرة، وتحايل أصحاب السبت، واستحلال المُحَرَّمات الثابتة، وسيقع في الأمَّة المسخُ نفسُه، وسيقع التنصُّل من المسئوليَّة، واستبدال الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، وما ترتَّب عليه ضرب الذلة والمسكنة.

• لقد كرَّم الله تعالى أمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، ك: الاعتصام، ب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ح (٧٣٢٠)، ومسلم، ك: العلم، ب: اتباع سنن اليهود والنصارى، ح (٢٦٦٩).

**بِٱللَّهِ** ﴾[آل عمران:١١٠]، إلا أنها وقعت فيها وقعت به بنو إسرائيل، واستبدلت في زماننا بالخيريَّة التي أكرمها الله بها القوميَّة والعَلمانيَّة والشيوعيَّة والديمقراطيَّة والرأسماليَّة..

فضُرِبَت عليها الذلَّة والمَسكنة، وهناك علامات صحيحة تدل على هذا المعنى.

• تأمَّل على سبيل المثال: الإشارةَ إلى وجود عادٍ الأولى مما يقتضي وجود عادٍ أخرى تحمل مواصفات عادٍ الأولى.

• ومنها: الآية الدالة على ظهور الفساد في البَرِّ والبحر في سورة الروم، والروم في عصرنا هم قادة الناس في توجيه شئون الأرض وفق شهواتهم وغيِّهم، ولعل الآية فيها إشارة إلى اختلال موازين الحياة وقوانينها على الكرة الأرضيَّة بسبب إفساد الناس، وعلى رأسهم الروم.

• ومنها نظرة أهل الباطل لأهل الحق، وحرصهم على إخراجهم من دائرة التأثير على الناس.

## رابعًا: السُّنَّة:

وهي نوع من الوحي الإلهي لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾[النجم]، والسُّنَّة هي كل ما ورد عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير، وأعلاها رتبةً الحديث الصحيح لذاته، ثم الصحيح لغيره، ثم الحسن لذاته، ثم الحسن لغيره، والمرفوض ومنها الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

• وهناك أفرادٌ من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد خصَّهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحاديث، وهذا العلم (الخصوصيَّة) يتناقله أهله بينهم، أما باقي الأمَّة فلا علم لها

بهذا العلم، وقد نالت علاماتُ السَّاعة حظًّا من ذلك، وقد استغلَّت الفرق الباطنيَّة والمذاهب الضالة فكرة الخصوصيَّة كمدخلٍ خبيثٍ لتشويه معالم الدِّين، أو إدخال ما ليس منه فيه، ونسبت فكرة الخصوصيَّة إلى عليٍّ وأبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واستغلَّت الشيعة فكرة الخصوصيَّة في حق آل البيت على مدى العصور، وهي ما روَّج له عبد الله السَّبَئي المشهور بابن السَّوداء اليهودي الذي قاد الفتنة ضدَّ ذي النورَين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويعتبر هذا اليهودي أخطر مَن خطَّط ودعا وروَّج للأفكار الملحدة في العصور الأولى بحجة الانتصار لآل البيت.

وقد نفَى سيدُنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكرة الخصوصيَّة عن نفسه.

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ الله؟ قَالَ: «لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» (١).

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قُلْنَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَخْبِرْنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّهُ إِلَيْكَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **{ لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ المَنَارَ }**» (٢).

ويستدل من هذه الأحاديث الصحيحة على أن من يَدَّعي خُصوصيَّة الإمام عليٍّ إنما هو مُتقوِّل ما ليس له به علم، أو مُغرض، أو جاهل.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: فكاك الأسير، ح (٣٠٤٧).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الأضاحي، ب: تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ ح (١٩٧٨).

• وحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو كاتِم سِرِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أسرَّ له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسماء المنافقين، ومعرفة الملاحم والفتن لحرصه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على السؤال عن الشرِّ لكي يتجنَّبه. قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»(١).

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعة فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟»(٢).

وهذا العلم الذي تعلَّمه حذيفةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنما يدل على التخصُّصيَّة أكثر من دلالتها على الخصوصيَّة، كما خُصَّ خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأنه سيف الله المسلول، وخُصَّ ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالفِقه في الدِّين وعلم التأويل.

• ولقد نفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الخصوصيَّة في قوله: « وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعة، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، ... »(٣).

• وكون تخصيص النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيَّاه بأسماء المنافقين له حكمته بما يمنع وقوع الفتنة من خلال إشهار أسمائهم، وحتى يكون أحد الصحابة على علم بأسمائهم بعد وفاة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يكون الخلفاء على بيِّنة من أمرهم.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، ح (٣٦٠٦)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، ح (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الفتن، بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعة، ح (٢٨٩١، ٢٨٩٢).

(٣) أخرجه مسلم، ح (٢٨٩١).

أما الصحابي الجليل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو من المُكثرين في رواية الحديث النبوي؛ حيث تفُوق مروياتُه خمسةَ آلاف حديث، وفكرة الخصوصيَّة نشأت نتيجة فهم خاطئ لقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ»(١).

والذي أخفاه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أحاديث هو ما يتعلق بأسماء أمراء السوء وأحوالهم في زمانه فقط؛ حيث ربط بين قطع الحلقوم والإخبار بها لديه، كتعوُّذِه بالله من رأس السبعين، أو من إمارة الصبيان، يشير بذلك إلى إمارة يزيد بن معاوية التي كانت سنة سبعين، والتي وقع فيها من العظائم ما وقع، أو ما يتعلق بأمور لو ذكرها لمن حوله لأنكرها من لم يألفها، أو من يستعظمها؛ فيترتَّب على ذلك اتهامه والتحرش به وقتله من الجهلة، وهذا العلم يجوز كتمانه وعدم نشره عند مَن لا يفهمه أو يسيء فهمه.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟»(٢).

وقد استغلَّت الفرق الباطنيَّة ذلك وادَّعت بأن للدِّين ظاهرًا وباطنًا، والباطن عندهم هو التحلُّل من الدِّين نفسه، وهو دين الخوَّاص بزعم أهل الزيغ والضلال.

والوعاء الذي امتنع أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بثِّه بين الناس قد بَثَّه غيرُه ممن شاركه في السماع والحفظ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: العلم، ب: حفظ العلم، ح (١٢٠).
(٢) أخرجه البخاري، ك: العلم، ب: مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، ح (١٢٧).

# الباب الثالث

# العلامات الصغرَى والفتن

## الفصل الأول

## العلامات الواقعة في عهد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لا شك أن علامات السَّاعة من دلائل النبوة التي تُعزِّز ثقتنا بدين الله، وبوعده للأمَّة بالتمكين في آخر الزمان، ومصداقيَّة كل كلمة قالها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعرِّفُنا مواطن الخلل، وكيفيَّة التعامل معها.

### ◘ العلامةُ الأولى: بَعْثَةُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعة كَهَاتَيْنِ** }، وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قَالَ الْقَاضِي يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَمْثِيلٌ لِمُقَارَبَتِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِصْبَعٌ أُخْرَىٰ كَمَا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعة، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِتَقْرِيبِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ، وَأَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كَنِسْبَةِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ تَقْرِيبًا لَا تَحْدِيدًا »[(٢)].

يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ: حَاصِلُ الْحَدِيثِ تَقْرِيبُ أَمْرِ السَّاعَةِ وَسُرْعَةُ مَجِيئِهَا ».. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمُ وَقْتِهَا بِعَيْنِهِ لَكِنَّ سِيَاقَهُ يُفِيدُ قُرْبِهَا وَأَنَّ أَشْرَاطَهَا مُتَتَابِعَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾[محمد: ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: { **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعة كَهَاتَيْنِ** }ح (٦٥٠٤)، ومسلم: ك: الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٧). عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (٦/ ١٥٥).

قَالَ الضَّحَّاكُ: « أَوَّلُ أَشْرَاطِهَا بَعْثَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالحِكْمَةُ فِي تَقَدُّمِ الْأَشْرَاطِ إِيقَاظُ الْغَافِلِينَ وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ »[(١)].

## ◘ العلامةُ الثانيةُ: انشِقاقُ القَمرِ:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾[القمر].

عَنْ عَبدِ الله بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، فَقالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اشْهَدُوا } »[(٢)].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ » [(٣)].

قَالَ الزَّجَّاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَقَدْ أَنْكَرَهَا بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُضَاهِينَ الْمُخَالِفِي الْمِلَّةِ وَذَلِكَ لَمَّا أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ، وَلَا إِنْكَارَ لِلْعَقْلِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ مَخْلُوقٌ للهِ تَعَالَى يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، كَمَا يُفْنِيهِ وَيُكَوِّرُهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ ... »[(٤)].

## ◘ العلامةُ الثالثةُ: خُروجُ الدَّجَّالين وأدْعِياءِ النُّبوَّةِ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { بَيْنَا أَنَا

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، ح (٣٦٣٦)، ومسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: انشقاق القمر، ح (٢٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا}، ح (٤٨٦٧)، ومسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: انشقاق القمر، ح (٢٨٠٢)، واللفظ له.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٤٣)، وانظر تفسير ابن كثير في تفسيره لهذه الآية.

**نَائِمٌ أُرِيتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَفُظِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ }.** فَقَالَ عُبَيْدُ الله - رواي الحديث -: « أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِاليَمَنِ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ »(١).

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي }**(٢).

• وهذه العلامة من دلائل نبوُّة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث ظهر في آخر عصره مسيلمةُ الكذاب في اليمامة، والأسودُ العنسي في اليمن، واستمرت بعد موته ، حيث خرجت سجاحُ التميميَّة في بني تميم، وطليحةُ بن خويلد في بني أسد ابن خزيمة، والمختارُ بن أبي عبيد الثقفي، والحارثُ الكذَّاب في خلافة عبد الملك ابن مروان.

وفي العصور الحديثة خرج أحمد القادياني في باكستان، وأتباعه يُعرَفون بالقاديانيَّة أو الأحمديَّة، وعلي محمد الشيرازي في إيران، والذي اعتبر نفسه باب المهدي، ومن أتباعه حسين علي الملقب ببهاء الله، وأدعياء هذه الفرقة يُعرَفون بالبهائيَّة أو البابيَّة، وخرج المدعو رائيل زعيم الطائفة الرَّائيليَّة.. وكلُّ مَن ادَّعى النبوة وكان له أتباع وشَوكة من غيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التعبير، ب: إذا طار الشيء في المنام، ح (٧٠٣٤).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، ب: مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ، ح (٢٢١٩) وقال: حديث صحيح.

## الفصل الثاني

## العلامات والفتن في مرحلة الخلافة الراشدة

• عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: { **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا** }(١).

وفي هذا الحديث ثلاث علامات:

**الأولى:** وهي [موت النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، **والثانية:** هي فتح بيت المقدس، وقد كان هذا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **والثالثة:** الموتان: وهو الموت الكثير ـ وقيل ظهر هذا في طاعون عِمواس في خلافة عمر أيضًا ـ والضمير في كلمة (فيكم) يعود على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

• عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: {**.... تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ** }(٢).

ولقد تمَّ بسط نفوذ المسلمين على جزيرة العرب في عهد أبي بكر الصديق

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجزيَّة، ب: ما يحذر من الغدر، ح (٣١٧٦).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَّالِ، ح (٢٩٠٠).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتم غزو فارس وبسط النفوذ عليها، وقتل آخر أكاسرتهم في عهد عثمان بن عفان (ذي النُّورَين) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكذلك تمَّ غزو الروم في عهد عمر، وتمَّ بسط سلطان المسلمين على الشام في عهده.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟**» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ { **فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ -، **وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى** }، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: { **كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ** ... } قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ (١).

**الظغينة**: المرأة المُسِنَّة أو المرأة في الهَوْدَجِ، **والحيرة**: عاصمة المناذرة، **ودعَّار طيِّئ**: قاطعو الطريق، **وطيئ**: بلاد عديِّ بن حاتم، وهي في الطريق بين العراق والحِجاز.

• هذا الحديث بشارة لمن يدبُّ اليأس في قلبه لما يدور من حوله من أحداث، كان الناس في شكوَى من الفقر وعدم الأمان، فبيَّن لهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الحال ستتغيَّرُ، وعديّ كان يرى قوة ملك الأكاسرة، حتى إن فكرة غزوهم لم تكن

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ح (٣٥٩٥).

تراود العرب، فما استعظمه عدي حصل ووقع بعد مدَّة وجيزة.

والعجيب في هذا الحديث أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر بأمور غير متوقَّع حصولها، بل دلالة الحال والواقع تُشير إلى خلافها، فما يستعظمه المسلم اليوم من عودة العالميَّة الثانية للإسلام، ليس بأعجب مما استعظمَه عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الحديث، والأمر بيد الله وحده سبحانه وتعالى يصرِّفه كيفما شاء.

• عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: { **اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ** }(١)، ويصدق في هذا الحديث وصف الشهادة، فكلاهما شهيدان بشهادة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما بذلك.

❖ ❖ ❖

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لو كنت متخذًا خليلا}، ح (٣٦٧٥).

## الفصل الثالث

## استشهاد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والفتنة العظمى

• عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ**}(١) وهذا من دلائل النبوة حيث وقع ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقتل الإمامِ عثمانَ ابنِ عفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والاقتتال بعده، وهما علامتان من علامات السَّاعة.

• وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: { **ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** }، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: { **ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** }، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: { **ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ** }، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (٢) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وفي هذا الحديث إشارة واضحة للفتنة التي وقعت في زمان عثمانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والبلاء الذي وقع به بسببها، فعمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ على يد مجوسي، ولم يترتَّب على قتله فتنة أو ابتلاء له، بينما عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد تعرَّض للبلاء قبل قتله بتسلط القوم الذين أرادوا أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم، ثم هجومهم على بيته وهتكهم ستر أهله.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٢١٧٠)، وقال عنه: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ح (٣٦٩٥).

## الفصل الرابع

## الاقتتال الداخلي من البلاءات الخاصة بهذه الأمّة

• عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا** - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا** }[(١)].

• أشار هذا الحديث إلى مدى مُلك الأمَّة، وقد بلغ ملكُها الصينَ شرقًا والمحيط الأطلسي غربًا، ويُحتمل أن يراد بالحديث أكثر من ذلك؛ حيث يَعُمُّ الدِّينُ الأرضَ كلَّها بعد خروج المهدي ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• وستعطَى هذه الأمَّة الكنزين الأبيض والأحمر (الذهب والفضة).

• ولن يستطيع عدوٌّ خارجيٌ أن يستبيح بيضتها إلا بخيانة أفراد من هذه الأمَّة من داخلها، وواقع الأمَّة يشهد ذلك.

• وفي الحديث إشارة إلى أن وهن الأمَّة الحقيقي هو في استباحة بعضهم بعضًا، ومن تتبَّع الصراعات الداخليَّة الواقعة بين المسلمين وخاصَّة في الخلافة العباسيَّة،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: هلاك هذه الأمَّة بعضهم ببعض، ح (٢٨٨٩).

وما وقع بعدها يري مصداقيَّة ذلك.

• وفي الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا** }(١).

وفي رواية : {.. **وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَبَى عَلَيَّ، أَوْ قَالَ فَمَنَعَنِيهَا، فَقُلْتُ: حُمَّى إِذًا أَوْ طَاعُونًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ** }(٢).

وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة بأن تفرُّق الأمَّة إلى شِيَعٍ، وإفناء بعضهم لبعض هو أحد أشكال العقوبة التي ستُبتَلَى بها الأمَّة بعد وفاة نبيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندما عَلِمَ النَّبيُّ بأنه قدرٌ نافذ دعا الله سبحانه بالتخفيف، وهو أهون الشَّرَّيْنِ على الأمَّة، فالموت بالطاعون شهادة، وتكفير للسيئات، وهو أهون من أن يقتل بعضهم بعضًا.

وراوي هذا الحديث هو معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد ابتُلِي بطاعون عِمْواس هو وولده، وكان مستبشرًا به قائلًا: دعوة نبيِّكم (الواردة في الحديث)، لقد حصد طاعونُ **عِمْواس** أرواحَ كثير من الصحابة، وهو في الظاهر بلاءٌ، ولكنه في حقيقته تخفيف على الصحابة الكرام.

## • وقعة الجمل: (جمادى الآخرة عام ٣٦هـ):

وهي المعركة التي وقعت بين طلحةَ والزبيرِ وعائشةَ، وبين عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وسمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه أمُّنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: هلاك هذه الأمَّة بعضهم ببعض، ح (٢٨٩٠).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢١٣٦). وله شواهد في الصحيح.

• ودوافع هذه المعركة هو طلب فريق طلحة القصاص من قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ورأوا أنهم قصَّروا في نصرته حيًّا، فكان منهم الندم على خِذلانه، ورأى فريق سيدنا عليٍّ الانتظار حتى يثبت عنده المرتكب الحقيقيُّ للقتل.

وحرَصَ الزبير على وجود أمِّنا عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، لعل الله يُصلح بها بين الفريقين، و لم يكونوا يقصدون القتال، وكان الباعث هو نيَّة الإصلاح والمعذرة بين يدي الله تعالى؛ فكان موقفهم عبارة عن ورقة ضغط يراد بها - حسب اجتهادهم - نصرة الحق، والقصاص للإمام المظلوم الذي قُتِل بينهم.

ولقد جاء عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد المعركة، وبعد أن ردَّ أمَّنا عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا إلى مأمنها، فسلَّم عليها وقال لها: كَيْفَ أَنْتِ يَا أُمَّهْ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللهُ لَكِ، ثم أرسلها مع أخيها محمد إلى البصرة ثم إلى مكة، وسار معها مشيًا أميالًا وهو يقول: زوجة نبيِّكم في الدنيا والآخرة، وقد فعل ذلك إكرامًا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأداءً لحق الأمومة [1].

• قال عمَّارُ بنُ ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ »[2].

فما وقع من اقتتال بينهم كان مَبنيًّا على اجتهاد مع سلامة النيَّة من كلا الطرفين، لذا لم يَرِد من كلا الطرفين أي اتهام لدين الطرف الآخر؛ فانظر إلى عمار وهو في

(١) انظر: الإشاعة في أشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي، ص (٣١).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: الفتنة التي تموج موج البحر، ح (٧١٠٠).

صف عليٍّ وفي مواجهة عائشة يُقسِم على أنها من أهل الجنة، وزوج نبيِّنا في الدنيا والآخرة، إنما هو الاجتهاد لكلٍّ منهم حسب فهمه وَوُسعه لدرء الفتنة التي اشتعلت بعد مقتل عثمان، وكلا الاجتهادين والفهمين تحتمله النصوص سواء مَن اعتزل القتال ولم يشارك، أو شارك، فكلهم مأجور بإذن الله حسب اجتهاده المبنيِّ على غلبة الظن، وكلهم كان وقَّافًا عند حدود الله تعالى، وكانت نيتهم في الخروج الإصلاح لا القتال، حتى أشعل نار الفتنة بينهم أهل النفاق والشِّقاق.

وانظر لقول أبي جعفر: « جَلَسَ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ (الجَمَلِ) يَبْكُونَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ»[1]، «والزبير حواريُّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فانظر إلى نفسيَّة الصحابة، ومدى سلامة قلوبهم، حيث كانوا ضحيَّة مُهَيِّجي الفتنة من الظَّلَمة، إلا أن قلوبهم تجاه بعضهم البعض لم تتغير، وهذه الفتنة إنما بيَّنت مدى رسوخ الإيمان وسلامة قلوب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

إنها صورة لم نجدها على مَرِّ البشريَّة يبكي فيها قادة الجيش المنتصر على قادة الجيش المهزوم بكاءَ الأم لفقدها فلذة كبدها.. إنهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ!

وانظر إلى هذا الأثر: عَنْ ثَوْرِ بْنِ مَجْزَأَةَ، قَالَ: مَرَرْتُ بِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله يَوْمَ الْجَمَلِ وَهُوَ صَرِيعٌ فِي آخِرِ رَمَقٍ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَرَى وَجْهَ رَجُلٍ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ، مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَبَسَطْتُ يَدِي وَبَايَعَنِي، فَفَاضَتْ نَفْسُهُ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ طَلْحَةَ، فَقَالَ: « اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَى اللهُ أَنْ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٧٧٧٤).

يَدْخُلَ طَلْحَةُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَبَيْعَتِي فِي عُنُقِهِ »[١].

ففي هذا الأثر بيان لتلك النفسيَّة الإيمانيَّة الرائعة التي كان يتمتَّع بها طلحةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الرَّمَق الأخير من حياته.

• وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ }**[٢].

في هذا الحديث إشارة إلىٰ ما وقع في وقعة **صِفِّين** بين عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ }** أي أن كلا الفئتين من أهل دعوة الإسلام، وكلاهما يدَّعي أنه المُحِقُّ، وقد كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الحقِّ وهو الأفضل، وقد بايعه أهل الحلِّ والعقد، ومخالِفُهُ مخطئ معذور في الاجتهاد.

عن أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ المَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الغُبَارَ، وَقَالَ: **{ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ }**»[٣].

ومعلوم أن عمَّارًا قُتِل في **صِفِّين** وكان مع فئة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتبيَّن من ذلك أن الفئة المقابلة لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي جيش معاوية هي الفئة الباغية، ومصطلح البغي لا يستخدم إلا في حالة خروج طائفة من المؤمنين علىٰ الإمام.

• وهذه الأحاديث من دلائل النبوة، حيث وقع ما أخبر به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه الحاكم: ك: المناقب، ح (٥٦٠١)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، (٣٦٠٩).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، ح (٢٨١٢).

• وفيها إشارة إلى مدى اهتمام النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحاديث الفتن وعلامات السَّاعة، وذلك عند بنائه المسجدَ، وفي الحديث إشارة إلى فضيلة عمَّار وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه ردٌّ على مَنِ ادَّعى أن عليًّا لم يكن مُصيبًا في حُروبه (١).

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ}**(٢).

والحديث يُشير إلى قتال الخوارج الذين مَرَقوا من الدِّين حين الفُرقة التي وقعت بين المسلمين في زمان عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبيَّن أن الذي يتولَّى قتالَهم أولى الطائفتين بالحق، وبالفعل قام الإمام عليٌّ بقتالهم والقضاء عليهم بعد معركة صفِّين.

ويلاحظ من هذه الأحاديث أن توصيف النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حصل في الجمل وصفِّين ليس فيه اتهام مقذِّع لطرفي النزاع؛ لأن هذا الاقتتال إنما وقع بناءًا على اجتهاد واقع ضمن دائرة الإيمان والإسلام، مع بيان المُصيب في طرفي النزاع، والمخطئ في اجتهاده.

هذا بخلاف الأحاديث الدالة على فرقة الخوارج واتهامهم في دينهم، وبيان أوصافهم، وبواعث القتال عندهم، وغلوهم، وضرورة محاربتهم واستئصالهم، ومدى خطورة بقائهم على وحدة المسلمين.

• عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلَى، يَوْمِ صِفِّينَ فَقَالَ: «قَتْلَانَا وَقَتْلَاهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ»(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٦٤٦).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ح (٣٧٨٨٠) بإسناد صحيح.

وهذا الكلام لسيدنا عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يصدر إلا عن فهم صحيح للوحي، وفيه إقفال لباب الخَوض دون وَعْيٍ فيما حصل من اقتتال بين الصحابة الكرام.

- ولقد اعتزل بعض الصحابة القتال في صفِّين والجمل.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الجَمَلِ، لَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَارِسًا مَلَّكُوا ابْنَةَ كِسْرَىٰ قَالَ: { **لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً** } »(١).

وهذا الحديث يبيِّن أهميَّة العلم وضرورته زمن الفتن، وكيف ربط هذا الصحابيُّ الجليل بين الحديث، وبين ما رآه من أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقود الجيش في معركة الجمل، أو هي رأس فيه.

واعتزل الفتنةَ ـ أيضًا ـ سعدُ بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما قِيلَ لَه: أَلَا تُقَاتِلُ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَىٰ، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِكَ، قَالَ: « لَا أُقَاتِلُ حَتَّىٰ يَأْتُونِي بِسَيْفٍ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَعْرِفُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، قَدْ جَاهَدْتُ وَأَنَا أَعْرِفُ الْجِهَادَ، وَلَا أَنْجَعُ بِنَفْسِي إِنْ كَانَ رَجُلًا خَيْرًا مِنِّي! »(٢).

فهو يرىٰ أن ما حصل من قتال في الجمل وصفِّين لا يعتبره من الجهاد لكلا الفئتين، وأن الأسلم تجنُّبه مخافة الوقوع في دم مسلم.

وعلىٰ المسلم وقت الفتنة أن يلجأ إلىٰ الله ليلهمَه الصواب فيما أَشكل عليه، وأن يرىٰ حرمة دم المسلم وعدم جواز قتاله في معظم الأحوال.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: الفتنة التي تموج موج البحر، ح (٧٠٩٩).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، (٨٣٧٠). وقال صحيح على شرط الشيخين، والطبراني في المعجم الكبير، (٣٢٢).

## الفصل الخامس

## الإشارات النبويَّة عن طائفة الخوارج الحروريَّة

• **الخوارج:** هم الفرقة التي خرجت على الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما رضِي بالتحكيم مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عددُهم قرابة الثمانية آلاف.

• **معتقدُهم:** التسوية بين الصغائر والكبائر من الذنوب، والتكفير بالذنب، وعدم اتباع السُّنَّة إذا انفردت عن القرآن بحكم، وتكفير الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحكم بالخلود في النار لأهل الكبائر، وإنكارهم الشفاعة والنظر لوجه الله تعالى لأهل الجنة، ويرون الخروج على السلطان الجائر، إلى غير ذلك من الانحرافات عند فِرَقِهم المختلفة.

• وسبب تسميتهم **بالحروريَّة** لأنهم نزلوا بقرية تسمى **حَروراء** في الكوفة، وسُمُّوا بالخوارج لأنهم خرجوا على جماعة المسلمين أو عن طريقها، أو لأن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفَهم بالخروج على المسلمين.

• ولقد جادلهم الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرجع بعضُهم إلى الحق، ثم أرسل إليهم من يجادلهم بالحسنى كابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فرجع منهم ألفان، وأما الآخرون فبقوا على ضلالتهم، وسارعوا بتكفير الكثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسفكوا الدماء، واستحلُّوا أهل الذمَّة، وقطعوا الطريق، وتعاقدوا على قتال إمام المسلمين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعزم على قتالهم، وانتصر عليه في معركة النهروان [1].

---

(١) وسبب ضلال الخوارج عدة أمور منها:
١ـ عدم جمع الأدلة في المسألة الواحدة. ٢ـ تأويلهم الأدلة حسب أهوائهم أو بظاهر النص دون غيره=

## • وصف النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم:

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، فَقَالَ: **{ وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ }**. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: **{ دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ }** قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ (١) فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ

---

=٣ـ اتِّباعهم المتشابه. ٤ـ اتِّباعهم الهوى وعدم سماعهم لأهل العلم. ٥ـ استغلالهم فرقة المسلمين.
٦ـ ضعاف العقول والبصيرة كما وصفهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٧ـ صغار السن، فيهم طيش وتسرُّع في الأحكام، وذلك ناتج عن خفَّة في العقل وسفاهة.
٨ـ حديثو عهد بإسلام أو التزام، يخرجون منه بسرعة دون أن يستفيدوا من تعاليمه لأقل شبهة تعرض لهم. ٩ـ لديهم حِقد وضغينة واتهام لأهل الدِّين. ١٠ـ يستبيحون الأعراض والأموال.

(١) وفي رواية: فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْتَمِسُوا فِيهِمُ المُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ» أخرجه مسلم، ح (١٠٦٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ (١).

وفي رواية أخرىٰ عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القيامة }**(٢).

وفي رواية: **{ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ }**(٣).

***

فانظر إلىٰ عقليَّة ونفسيَّة البغاة المقاتلين للإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجمل وصفِّين (وقد بيناها) فإنها تختلف اختلافًا جوهريًا عن عقليَّة ونفسيَّة الخوارج المقاتلين للإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ففي صفِّين والجمل كان القتال يقوده صحابة كرام يَعرف كل منهم فضل الطرف الآخر، بل كان قتالهم لأجل الإسلام وإحقاق الحق، وإقرار العدل، بعضهم أصاب الحق في اجتهاده فله أجران، والبعض أخطأ في اجتهاده فله أجرٌ واحد، لذا كان القتال ضمن دائرة الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفتهم، ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١١).

(٣) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ}، ح (٣٣٤٤)، ومسلم: ك الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤)

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[الحجرات:٩].

• أما **الخوارج** فهي نفسيَّة جديدة جهولة ومغالية في الدِّين، كفَّرتْ أكثر الصحابة، واعتقدت معتقدات هدَّامة استباحت بسببها دماء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وجوَّزوا الظلم للرسول الكريم، فمثل هذه العقليَّة لا يمكن أن يبقىٰ معها دين علىٰ وجه الأرض، فيجب القضاء عليها بالحُجَّة والبيان، ثم السِّنان حتىٰ لا يُهدَم الإسلام من داخله، فهم وأهل النفاق أخطر أعداء الإسلام من الداخل، فكلاهما في الظاهر يتمسَّك بتعاليم الإسلام من صلاة وصيام وقراءة قرآن وحج وعمرة، وهم في نفس الوقت أهل جهل وهوًىٰ وحقد علىٰ الإسلام والمسلمين، يعادون أهل الإسلام، ولا يعادون أهل الأوثان.

• ومع خطورة الخوارج إلا أن أكثر العلماء لا يرَون تكفيرهم؛ لأنهم من الكفر فرُّوا، وهم يذكرون الله بكرة وأصيلًا، والمنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، لكنهم قوم أصابتهم فتنة فعَمُوا وصَمُّوا.



## الفصل السادس

## الإشارات النبويَّة بعد فترة الخلافة الراشدة

### ◘ الإشارة النبويَّة لعام الجماعة:

• عن أَبي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، عَلَىٰ المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَىٰ النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: { **ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ** }(١).

وفي رواية عن الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ قَالَ: - لَمَّا سَارَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ بِالكَتَائِبِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: أَرَىٰ كَتِيبَةً لاَ تُوَلِّي حَتَّىٰ تُدْبِرَ أُخْرَاهَا، قَالَ مُعَاوِيَةُ: مَنْ لِذَرَارِيِّ المُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ: نَلْقَاهُ فَنَقُولُ لَهُ الصُّلْحَ - قَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ .. وذكر الحديث»(٢).

• بعد معركة **صفِّين** وخروج طائفة الخوارج وقتالهم في **النهروان** سنة ٣٨هـ، أعدَّ الإمام عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جيشًا عظيمًا لقتال أهل الشام، إلا أن المنيَّة عاجلته علىٰ يد الشَّقِيِّ ابنِ مُلجِم، فبايع الناسُ الحسنَ بنَ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ الخلافة، وكان لا يرغَب كثيرًا في هذا القتال، كما صادف هذا الأمرُ عدمَ رغبة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في القتال أيضًا حسرة منه علىٰ ما يُزهَق من أرواح المسلمين، فكان الصلح الذي هيَّأ الله تعالىٰ له أهلَه وأسبابه، ومن أهمها تلك المَنقَبة للإمام الحسن حيث تنازل عن الخلافة لمعاوية، وأصلح الله تعالىٰ علىٰ يديه بين المسلمين، واجتمع الناس فيه علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: مناقب الحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ح (٣٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: {إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ..}، ح (٧١٠٩).

خليفة واحد، وسُمِّيَ بعام الجماعة.

وتحقَّقت نُبوءة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الحسنَ بنَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

***

## ◘ الإشارة النبويَّة إلى مدَّة الخلافة الراشدة:

• عَنْ سَفِينَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** }[1].

**فمدَّة الخلافة**: أبو بكر: سنتان وثلاثة أشهر، وعمر: عشر سنين وستة أشهر، وعثمان: إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا، وعلي: أربع سنين وتسعة أشهر، والحسن: سبعة شهور رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

**المجموع**: (٢٧) سنة، و (٣٦) شهر، لتكون الخلافة ثلاثين، كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعند أحمد في مسنده (مسند الكوفيين) ح (١٨٤٣٦) من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إشارة إلى الخلافة الراشدة، والتي انتهت بعام الجماعة، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثم الملك العاضّ الذي انتهى بسقوط الخلافة العثمانيَّة (والله أعلم)، ثم الحكومة الجبريَّة، ثم خلافة راشدة على منهاج النبوة، وهذه بُشرَى للأمَّة بأن ما هي عليه من ظلم وجبريَّة لن يدوم حاله، بل يخلفه الخير بأعلى درجاته، وذلك يتضمَّن حثًّا للأمَّة على بذل الجهد والعمل، فكما كانت الخلافة الأولى نتيجة لجهدٍ عظيم وتضحيات عُظمَى، فكذلك تكون الخلافة

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: السنة، ب: في الخلفاء، ح (٤٦٤٧)، وصحَّحه الألباني، والترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء في الخلفاء، ح (٢٣٢٦)، وقال: حديث حسن.

الراشدة الثانية.

• وعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً }، ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: { كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ } (١).

مرحلتهم مرحلة عِزَّة لتعاليم الإسلام، تكون الأمَّة مُهابَةً، ويكون الدِّين قويًّا بأهله وتعاليمه، لا تضرُّهم عداوة من عاداهم.

ثم تبدأ الفُرقة في الولاية السياسيَّة، ويبدأ الضعف في تعاليم الدِّين مما يكسبه وهنًا بعد قوته ومنعته، ويقع الهرج والفوضى.

وهؤلاء الأئمة من أئمة العدل، وقد يُراد بهم الخلفاء الراشدون وبعض خلفاء بني أميَّة، وقد يُراد بالخلفاء الاثني عشر ما يكون من خلفاء مَهديين إلى قيام السَّاعة، وهذه حصلت في الخلفاء الراشدين الأربعة وعمر بن عبد العزيز، وبعض خلفاء بني العباس.

وليس كما يزعم الشيعة أنهم اثنا عشر رجلًا من آل البيت؛ لأن الروايات تشير إلى أنهم خلفاء وأمراء، ولم يتولَّ من آل البيت إلا الإمام عليٌّ وابنُه الحسنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كما تشير إلى أنهم من قريش وليسوا من بني هاشم (٢).

• عن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: { لاَ يَكِيدُ أَهْلَ المَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ } (٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأحكام، ب: الاستخلاف، ح (٧٢٢٢)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الناس تبع لقريش، ح (١٨٢١)، واللفظ له.

(٢) انظر عون المعبود (١١/ ٣٦٥ وما بعدها)، وتحفة الأحوذي (٦/ ٤٧٣ وما بعدها).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: إثم من كاد أهل المدينة، ح (١٨٧٧).

فهذا الحديث فيه إشارة واضحة إلىٰ حُرمة المدينة، ومعالجة الكائدين لها، وقد وقعت هذه الآية في الطاغية مسلم بن عقبة الذي استباح حُرمة المدينة، وسفك دم أهلها، حيث انماع كما ينماع الملح في الماء، ومات بعد فعلته الشنيعة مباشرة بين الحرمين عندما خرج من المدينة قاصدًا مكة، ومات بعده ـ أيضًا ـ يَزيد بن معاوية الذي أرسله، وخسر هنالك المبطلون.

***

## ◘ إشارة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المُبير والكَذَّاب من ثقيف:

عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ دَخَلَ عَلَىٰ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، بَعْدَمَا قُتِلَ ابْنُهَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَإِنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ، فَقَالَتْ: كَذَبْتَ، كَانَ بَرًّا بِالْوَالِدَيْنِ، صَوَّامًا قَوَّامًا، وَالله لَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ** }(١). وفي رواية مسلم: قالت: «أَمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا، { **أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا** } فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا » (٢).

**والكذَّاب**: وصفٌ ينطبق علىٰ المختار ابن أبي عبيد الثقفي الذي ادَّعىٰ نصرة آل البيت بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم ادَّعىٰ النبوة، وكان شديد الكذب، وكان يدَّعي أنه يأتيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي.

**والمُبِيرُ**: أي المُهْلِكُ، هو الحجَّاج بن يوسف الثقفي السفاح المشهور الذي قتَل مِن العلماء مَن قتل، وضرب الكعبة بالمنجنيق.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٦٩٦٧).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفضائل، ب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ح (٢٥٤٥).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ المراد بالكذَّاب هنا المختار بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ، وَاللهُ أَعْلَمُ »[١].

***

## ◘ علامةُ خُروجِ نـارٍ من أرضِ الحِجـاز:

• عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: **{ لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى }**[٢].

تعتبر هذه العلامة أول العلامات الأرضيَّة التي وقعت سنة (٦٥٤هـ).

هذه العلامة دعامة إيمانيَّة لأهل الإيمان، في مرحلة ضعف وتشرذم مرَّت بها الأمَّة الإسلاميَّة، كما تتضمن هذه العلامة تحذيرًا للأمَّة، ففي الوقت الذي كان فيه بركان طبيعي بجوار عاصمة الخلافة، كان هناك بركان بشري آخر يتململ ليعصف بعاصمة الخلافة آنذاك (بغداد) تمثَّل في هجوم التتار كالسيل العارم الذين قتلوا العِباد، ودمَّروا البلاد، وأسقطوا الخلافة العباسيَّة سنة (٦٥٦هـ).

قال ابن حجر: « وَقَالَ النَّوَوِيُّ: تَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِخُرُوجِ هَذِهِ النَّارِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الشَّامِ »[٣]. ولقد ذكرها أيضًا القرطبي في التذكرة (ص: ٧٢١ وما بعدها).

***

## ◘ علامةُ قتالِ التُّركِ، والتَّتـارِ:

• عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة**

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الفتن. باب خروج النار، ح (٧١١٨)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، ح (٢٩٠٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧٩).

أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ نِعَالَ الشَّعَرِ، وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ }(١).

وفي رواية: { لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ }(٢).

**والمَجَانُّ**: جمع مِجَنّ، وهو التُّرْسُ، **المُطْرَقَةُ**: التي أُلْبِسَت الأطرِقة من الجلود، وهي الأغشية، والمراد هنا أن وجوههم عريضة وغليظة كثيرة اللحم كالتروس التي كُسِيَتْ جلدًا.

قال ابن حجر: « قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: شَبَّهَ وُجُوهَهُمْ بِالتِّرَسَةِ لِبَسْطِهَا وَتَدْوِيرِهَا وَبِالْمُطْرَقَةِ لِغِلَظِهَا وَكَثْرَةِ لَحْمِهَا »(٣).

**يَنْتَعِلُونَ نِعَالَ الشَّعَرِ**: أي يَلبسون نِعالًا من الشعر (وهي طائفة غير الترك عِراض الوجوه)(٤).

**ذُلْفُ الأُنُوفِ**: فطس الأنوف أو هو قصر الأنف وغلظ أرنبته مع انبطاحه.

**حُمْرَ الوُجُوهِ**: بيض الوجوه مع حمرة.

**التُّرْكُ**: قِيلَ إِنَّ بِلَادَهُمْ مَا بَيْنَ مَشَارِقِ خُرَاسَانَ إِلَىٰ مَغَارِبِ الصِّينِ وَشِمَالِ الْهِنْدِ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْمَعْمُورِ(٥)، وهذه البقعة تصدق علىٰ بلاد التتار والمغول.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: قتال الترك، ح (٢٩٢٧)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ح (٢٩١٢).

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق، ح (٢٩٢٨).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٠٨).

(٤) المصدر السابق (٦/ ١٠٤).

(٥) المصدر السابق (٦/ ٦٠٨).

والذين ينتعلون الشعر ينطبق على «بابك» وأصحابه، أحد الزنادقة الذين خرجوا على الدولة العباسيَّة في عهد المأمون والمعتصم، وكان يرى هذا الزنديق إباحة سائر المُحَرَّمات، وانتشرت بدعته في جبال أصفهان وهمذان، وعاث في الأرض فسادًا، وانتهت فتنته في عهد المعتصم بعد حروب دامية، وكانوا ينتعلون الشعر لطبيعة المنطقة الجبليَّة والثلجيَّة (١).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا، وَكَرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الأُنُوفِ، صِغَارَ الأَعْيُنِ وُجُوهُهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ** }(٢).

**خُوْز وكَرْمان**: إقليمان من أقاليم العجم، وكرمان بلدة مشهورة بين خراسان وبحر الهند، وأما خوز فهي من عراق العجم، وقد يراد بها مناطق قريبة من بحر قزوين.

• وعنه أيضًا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: { **لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَّالُ خُوزَ وَكَرْمَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ** }(٣).

هذه الأحاديث تبيِّن أن هذه المناطق ستكون بيئة نصرة للدجَّال - نعوذ بالله من فتنته- ثم ينطلق بهم لقتال المسلمين من هاتين القاعدتين.

• وعَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ خَالَتِهِ قَالَتْ: خَطَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَاصِبٌ إِصْبَعَهُ مِنْ لَدْغَةِ عَقْرَبٍ فَقَالَ: { **إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ**

---

(١) فتح الباري (٦/ ١٠٤) بتصرف.
(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٥٩٠).
(٣) أخرجه أحمد، ح (٨٤٥٣).

الشِّعَافِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ }(١).

**صُهْبُ الشِّعَافِ**: البَياض الذي يَعلُو الرأس.

وفي الحديث إشارة إلى أن الأمَّة لا تخلو من عدو لها على مرِّ الدهر حتى ينتهي الأمر بالعَدُوِّ الذي لا يُدان لأحد بقتالهم، وهم يأجوج ومأجوج، فالأمَّة في صراع مستمرٍّ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

• وتجد في الحديث إشارة إلى أوصاف يأجوج ومأجوج، فهي تشبه أوصاف الترك.

• وَعَنْ أَبِي سُكَيْنَةَ، رَجُلٍ مِنَ الْمُحَرَّرِينَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **{ دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ }**(٢).

والحديث يُشير إلى عدم التعرُّض لقتال الحبشة والتُّرك طالما أن هاتين الأمَّتين لم يتعرَّضا للمسلمين، ولم يبدءا قتالهم.

• قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ وَبَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْآيَةَ مُطْلَقَةٌ وَالْحَدِيثُ مُقَيَّدٌ، فَيُحْمَلُ الْمُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيَّدِ، وَيُجْعَلُ الْحَدِيثُ مُخَصِّصًا لِعُمُومِ الْآيَةِ، كَمَا خَصَّ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْمَجُوسِ، فَإِنَّهُمْ كَفَرَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ أَخَذَ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ }**(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: في النهي عن تهييج الترك والحبشة، ح (٤٣٠٢)، والنسائي: ك: الجهاد، ب: غزو الترك والحبشة (٣١٧٦)، وحسَّنه الألباني.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، ح (٤٢)، وغيره، وضعف الألباني إسناده، ويكتفى عنه بما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { أَخَذَهَا - الجزية - مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ }(٣١٥٧).

وَأَمَّا تَخْصِيصُ الْحَبَشَةِ وَالتُّرْكِ بالتَّرْكِ والوَدْعِ فلأن بلاد الحبشة وغيرها بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَهُمْ مَهَامِهُ وَقِفَارٌ فَلَمْ يُكَلِّفِ الْمُسْلِمِينَ دُخُولَ دِيَارِهِمْ لِكَثْرَةِ التَّعَبِ وَعَظَمَةِ الْمَشَقَّةِ. وَأَمَّا التُّرْكُ فَبَأْسُهُمْ شَدِيدٌ وَبِلَادُهُمْ بَارِدَةٌ وَالْعَرَبُ وَهُمْ جُنْدُ الْإِسْلَامِ كَانُوا مِنَ الْبِلَادِ الْحَارَّةِ فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ دُخُولَ الْبِلَادِ فَلِهَذَيْنِ السِّرَّيْنِ خَصَّصَهُمْ »(١).

***

## • نصيحةٌ نبويَّةٌ غاليةٌ غابت عن المسلمين:

**قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾**[النور].

في حديث أبي سُكَيْنة أرشد النَّبيُّ الكريم إلىٰ عدم تهييج الترك، وتركهم وشأنهم، وعدم بدئهم بقتال ونحوه، واستمرَّ المسلمون علىٰ هذا الهدىٰ رَدْحًا من الدَّهر، إلىٰ أن وقعت المخالفة (كما وقعت للرُّماة علىٰ جبل أحد)، وقاموا بتهييج الترك وقائدهم جنكيزخان؛ فكانت الطامَّة بما يُعرف بالهجمة المغوليَّة علىٰ بلاد المسلمين.

فقد كانت هناك معاهدة تبادل تجاري بين جنكيز خان وخوارزم شاه استطاع التجَّار بموجبها أن يتردَّدوا بين الطرفَين آمنين، ثم كان الغَدر من جهة والي خوارزم شاه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَدْ قَتَلَ - أي جنكيزخان - مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَلَكِنْ كَانَ الْبَدَاءَةُ مِنْ خُوَارَزْمَ شَاهْ، فَإِنَّهُ لما أرسل جنكيزخان تُجَّارًا مِنْ جِهَتِهِ مَعَهُمْ بَضَائِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ بِلَادِهِ فَانْتَهَوْا إِلَى إِيرَانَ فَقَتَلَهُمْ

(١) عون المعبود (١١/ ٢٧٦)، وانظر شرح السيوطي على النسائي (٦/ ٤٤).

نَائِبُهَا مِنْ جهة خوارزم شاه، وهو والد زوجة كَشْلِي خَانَ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ(١)، فأرسل جنكيزخان إِلَىٰ خُوَارَزْمَ شَاهْ يَسْتَعْلِمُهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الأمر عن رضًى منه أو أنه لا يَعْلَمْ بِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَهُ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ: «مِنَ الْمَعْهُودِ مِنَ الْمُلُوكِ أَنَّ التُّجَّارَ لَا يُقْتَلُونَ لِأَنَّهُمْ عِمَارَةُ الْأَقَالِيمِ، وَهُمُ الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التُّحَفَ وَالْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ التُّجَّارَ كَانُوا عَلَىٰ دِينِكَ فَقَتَلَهُمْ نَائِبُكَ، فَإِنْ كَانَ أمراً أمرت به طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك».

فَلَمَّا سَمِعَ خُوَارَزْمُ شَاهْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ جنكيزخان لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ سِوَىٰ أَنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ، وَقَدْ كَانَ خَرِفَ وَكَبُرَتْ سِنُّهُ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ: { **اتركوا التُّرْكَ ما تَرَكوكُمْ** }، فلما بلغ ذلك جنكيزخان تَجَهَّزَ لِقِتَالِهِ وَأَخْذِ بِلَادِهِ، فَكَانَ بِقَدَرِ الله تَعَالَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِأَغْرَبَ مِنْهَا وَلَا أَبْشَعَ »(٢).

ولما علم خوارزم شاه أنه قد استهدف بعمله لحرب تلك الأمَّة العظيمة، وزاد الطين بلة بأن جمع عساكره وسار بادئًا بالعدوان حتىٰ وصل تخوم تركستان وهجم علىٰ بلاد عدوِّه.

- وهذه كلها علامات تدل علىٰ صدق نبوَّته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر بأمور مستقبليَّة لم تقع بعد، ثم وقعت كما أخبر بها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) كانوا زهاء أربعمائة نفس، وكان معهم أموال جسيمة، فطمع الوالي في أخذ أموالهم، فأخبر خوارزم أنهم جواسيس من قبل جنكيزخان قدموا في زي تجار، فأمر بقتلهم ذلك المشئوم.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/ ١٣٩- ١٤٠).

# الفصل السابع

## العلامات الصُّغْرَى الصريحة (خمس وثلاثون علامة)

والمقصود بلفظ الصريحة هي تلك العلامات التي يتصدر الحديث عنها بألفاظ وصيغ تدل صراحة على أنها علامة، كقول النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لا تقوم السَّاعة .. أو بين يدي السَّاعة .. أو من أماراتها }**.. إلخ.

- **حديث جامع في ذلك:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعة وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعة وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعة وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا }**(١).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: خروج النار، ح (٧١٢١).

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَجَمِيعُ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَشْرَاطِ قَدْ رَأَيْنَاهَا عِيَانًا؛ فَقَدْ نَقَصَ الْعِلْمُ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، وَأُلْقِيَ الشُّحُّ فِي الْقُلُوبِ، وَعَمَّتِ الْفِتَنُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ »(١).

**وإليكم بيان هذه العلامات بشيء من التفصيل:**

## ◘ العَلَامَةُ الأولَى: قَبْضُ العِلْمِ:

عَنْ عَبدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** }(٢).

وهذه العلامة وردت في حديث أبي هريرة: { **وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ** }، وهذا الحديث شرح وتفصيل لكيفيَّة قبض العلم.

فإذا فسد حال الناس وزهِدوا في طلب العلم الشرعي وتحمُّل تبعاته، وانحصر العلم في حَمَلَتِهِ فقط؛ فإنه يترتَّب على ذلك أنَّ قبض كل عالِم في ذلك الزمان إنما هو قبض لعلمه؛ لأنه لم يتحمَّله عنه غيرُه، ويستقِرُّ أمر الفتوى - وهي أعلى مراتب العلم(٣) - بأيدي الجهَّال، فيكون على أيديهم ضلال الناس.

فذَهاب العلم بذَهاب حَمَلَتِهِ، وبقاء العلم في الكتب لا ينفع مع فناء العلماء

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٦).
(٢) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: كيف يقبض العلم، ح (١٠٠)، ومسلم: ك: العلم، ب: رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، ح (٢٦٧٣).
(٣) لأن المفتي بمثابة الموقِّع عن رب العالمين، والمبيِّن لمراده في الأرض.

الذين يبيِّنون المراد منه، وقبض العلم أحد أسباب ضعف أمَّة الإسلام.

وما نعيشه الآن من نُدرَة العلماء الربانيِّين، وإن كان قد كَثُرَ مَن ينتسب لعلم الدِّين، ولكنَّ القليل منهم مَن اتضحت معالم الرسالة لديه، وحدَّد هدفه من علمه، وهو ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولم يبع علمه بعَرَضٍ من الدنيا قليل.

قال ربيعة الرأي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يُضَيِّعَ نفسَه»(١)، وأن يترجم العلم إلى واقع وخشية لله عَزَّ وَجَلَّ؛ حتى لا يكون كالحمار الذي يحمل أسفارًا.

ومصداق ذلك أن أول ما يُرفع من العلم هو «الخشوع في الصلاة».

• قال عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « أول علم يُرفَع من الناس الخشوع؛ يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا »(٢).

فحقيقة العلم نورُه، ونورُه في تطبيقه؛ فإذا نزع التطبيق من الأمَّة قبضت حقيقة العلم من حياتهم.

• ومن أشكال قبض العلم طلب الدنيا به؛ لأن العلماء مؤتمنون على الدِّين، والأصل فيهم ألا يبتغوا بعلمهم إلا وجه الله ورفعة دينه، وتوجيه الناس من الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية؛ لذلك كانوا ورثة الأنبياء.

**قال عبَّاد بن عبَّاد الخوَّاص الشامي** في رسالة له لأهل العلم: «... اتَّقُوا اللهَّ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ رَقَّ فِيهِ الْوَرَعُ، وَقَلَّ فِيهِ الْخُشُوعُ، وَحَمَلَ الْعِلْمَ مُفْسِدُوهُ، فَأَحَبُّوا أَنْ

---

(١) فتح الباري (١/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي: ك: العلم، ح (٢٧٩١)، والحاكم في المستدرك، ح (٣٣٧) وقال: هذا صحيح.

يُعْرَفُوا بِحَمْلِهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُعْرَفُوا بِإِضَاعَتِهِ، فَنَطَقُوا فِيهِ بِالْهَوَىٰ، لَمَّا أَدْخَلُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَإِ، وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَمَّا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا بِهِ مِنْ بَاطِلٍ، فَذُنُوبُهُمْ ذُنُوبٌ لَا يُسْتَغْفَرُ مِنْهَا، وَتَقْصِيرُهُمْ تَقْصِيرٌ لَا يُعْتَرَفُ بِهِ، كَيْفَ يَهْتَدِي الْمُسْتَدِلُّ الْمُسْتَرْشِدُ إِذَا كَانَ الدَّلِيلُ حَائِرًا؟ أَحَبُّوا الدُّنْيَا، وَكَرِهُوا مَنْزِلَةَ أَهْلِهَا، فَشَارَكُوهُمْ فِي الْعَيْشِ، وَزَايَلُوهُمْ بِالْقَوْلِ، وَدَافَعُوا بِالْقَوْلِ عَنْ أَنْفُسِهُمْ أَنَّ يُنْسَبُوا إِلَىٰ عَمَلِهِمْ، فَلَمْ يَتَبَرَّءُوا مِمَّا انْتَفَوْا مِنْهُ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِيمَا نَسَبُوا إِلَيْهِ أَنْفُسِهِمْ ...»(١).

كلمات معبِّرة تحكي بعض أهل العلم في القرن الثاني الهجري (من خير القرون) كما يرىٰ عبَّاد الخوَّاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكيف بحالنا في هذا العصر وماذا نقول عن أهله؟ وماذا نقول عن أنفسنا؟ نسأل الله العفو والعافيَّة.

## ◘ العَلَامَةُ الثَّانِيَةُ: التِماسُ العِلْمِ عندَ الأصاغِرِ:

عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : { **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ** }(٢).

والأصاغر جمع أصغَر، ويراد به سَفَلَةُ القوم وجهَّالهم، ومن تزيَّا بزيِّ العلم وإن كان من غير أهله، إما لجهل أو فسق ونحوه.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةَ، سَفِيهٍ مُعْلِنِ السَّفَهِ، وَصَاحِبِ هَوًىٰ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَاحٌ لَا

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٦٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ح (٦١)، والطبراني، ح (٩٠٨)، وانظر الصحيح المسند (٣٨٣ وما بعدها)، وقال عنه العدوي: رجاله ثقات، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (٦٩٥).

يَعْرِفُ مَا يُحَدَّثُ بِهِ »[١].

وهذه العلامة تدل على فساد حال الناس واختلال موازينهم في الحكم على أدعياء العلم، وفساد توجُّهات الناس وزهدهم في العلم الحقيقي، فيعمدون لمن يَدَغْدِغُ عواطفهم، ويُغرِقهم في القصص والأوهام والخيال.

• مَرَّ شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مسجد فيه جعفر بن الزبير وعمران بن حدير، فوجد الزحام على جعفر بن الزبير، وليس عند عمران أحد، فتعجَّب شعبة، وقال: «يا عجبًا للناس! اجتمعوا على أكذبِ الناس، وتركوا أصدق الناس»[٢]، هذا التماس العلم عند الأصاغر.

## ◘ العَلَامَةُ الثالثةُ: خُروجُ الكَذَّابينَ وأَدْعِياءِ النبوَّةِ:

سبق ذكر الأحاديث التي تدل على خروج هؤلاء: كمُسَيْلِمَةَ الكذَّاب في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن، وسجاح التميميَّة في بني تميم، وطلحة بن خويلد في بني أسد، وذلك في عهد الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم تتابع هؤلاء مثل: المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي غلب على أهل الكوفة في أول خلافة ابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، والحارث الكذَّاب الذي ادَّعى النبوَّة في خلافة عبد الملك بن مروان، وفي العصور الحديثة أحمد القادياني الذي ادَّعى أنه المسيح الموعود، وأتباعه يُعرَفون بالقاديانيَّة أو الأحمديَّة[٣]، وعلي محمد الشيرازي في إيران، والتي تشعبت

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، رقم (١٥٤٢)، (٢/ ٨٢٠).

(٢) السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب، ص (٢٣٢).

(٣) ولقد سمعت محاضرة له في المركز الإسلامي في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك عام ١٩٨٠، التابع

عنه البابيَّة أو البهائيَّة، ومنهم الفرماوي الذي ادَّعىٰ الوحي، وهلك في أوائل الثمانينيات، ولقد شاهدُته وتعرَّفتُ علىٰ تلامذته، وكيف كانوا يستحلُّون أموال الناس بحُجَّة أنهم كفَّار، ويحرِّمون ركوب المواصلات، واستقالوا من وظائفهم لحرمة العمل في الحكومة أو مع الكفار وغيرهم.

وفي الأثر: { **أن آخرهم الدجَّال الذي يدَّعي الألوهيَّة** }.

• عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ** }(١).

وهذه إشارة نبويَّة تشير إلىٰ ظاهرة وضع الأحاديث، واختلاق الأكاذيب، ونسبتها للصحابة وغيرهم.

## ◘ العَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: كَثْرَةُ الزَّلازِلِ:

تكثر الزلازل في مرحلة معينة تمرُّ بالأرض، ويقل توازنها بشكل غير معهود.
قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن حَوَالَةَ - وقد وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ -: { **يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعة يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ** }(٢).

---

لجماعتهم، ولهم مطبوعات خاصة بهم تحتوي سمًّا في قليل من العسل، ولهم كذلك قنوات فضائية بعدة لغات منها العربية والإنجليزية، ينشرون عبرها ضلالاتهم.

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، ب: في الضعفاء والكذابين، ح (٧).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢٤٨٧)، وأبو داود في الجهاد، ح (٢٥١٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٧٨٣٨).

## ◘ العَلَامَةُ الخامِسَةُ: تَقَـارُبُ الزَّمـانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ** } قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: { **القَتْلُ القَتْلُ..**}(١)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعة، وَتَكُونُ السَّاعة كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ** }(٢).

والمراد **بِتَقَارُبِ الزَّمَانِ**: قد يكون تغييرًا كونيًّا يعصف بالأرض فيؤثِّر على الزمن، وقد يكون بنزع البركة من الوقت فيصير الانتفاع باليوم كالانتفاع بالسَّاعة وذلك حين تنتشر الشرور والمعاصي، وقد يراد به قرب يوم القيامة، وقد يكون بتقارب المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينها، وقد يكون بانفتاح الدنيا وكثرة متطلَّباتها مما يجعل الوقت لا يفي بها جميعًا، فتمرُّ الأيام سريعًا دون الشعور بها، أي أن الوقت أقصر من متطلَّبات حياة الإنسان. وكثير من الناس يشعرون الآن بسرعة مرور الأيام والسنين.

فتقارب الزمان إما أن يكون حِسِيًّا، ويحتمل أن يكون مَعنويًّا. فمن له فطنة يجد أنه لا يقدر أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: ظهور الفتن، ح (٧٠٦١).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٠٩٤٣)، وصححه الألباني في سنن الترمذي، واللفظ له، ح (٢٣٣٢)، وفي الصحيح المسند للعدوي (٤١٧).

## ◘ العَلاَمَةُ السَّادِسَةُ: كَثْرَةُ الهَرْجِ:

والهَرْج في اللغة: الاختلاط والاختلاف، وفي الاصطلاح: شدة القتل أو كثرة القتل، والاختلاط مع الاختلاف، والفتنة في آخر الزمان، وكثرة الكذب، والريبة وعدم الإيقان بالأمر (١).

• عَنْ عَبدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ **بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة أَيَّامُ الهَرْجِ، يَزُولُ فِيهَا العِلْمُ وَيَظْهَرُ فِيهَا الجَهْلُ** ﴾. قال أبو موسى: «والهَرْج القَتْل بلسان الحبشة»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ** ﴾ فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: ﴿ **الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ** ﴾(٣).

والحديث يدل على أن المراد بالهرج ليس القتال بين أهل الحق والفئة الباغية؛ بل قتال على الدنيا، أو هو حالة فوضى من القتال أهدافه خفيَّة كنوع من صراعات المصالح الشخصيَّة التي يديرها عِلية القوم، أما المباشرون للقتل، فلا تتضح أمام أعينهم الصورة لدرجة لا يعلم القاتل لماذا قَتَل، ولا المقتول فيمَ قُتِل.

والخير في ذلك اعتزالُ الناس في مراحل الهرج التي تَعصِف بالأمَّة، وكفُّ اللسان واليد؛ لأن الرجل لا يأمن جليسه، إما لكثرة الجواسيس الذين يتجسَّسون على الناس،

---

(١) لسان العرب (٢/ ٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: ظهور الفتن، ح (٧٠٦٦).

(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، ح (٢٩٠٨).

أو لفساد حال الناس وتشرذمهم إلىٰ فرق وأحزاب وشِيَعٍ، وحرصهم علىٰ النَّيلِ من بعضهم البعض، وتصيُّد الأخطاء حيث لا يأمن فيها الرجل حتىٰ ممن يجالسه.

عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَّامِ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ، إِلَىٰ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ** ﴾، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: ﴿ **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟** ﴾ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّىٰ يُنْطَلَقَ بِي إِلَىٰ أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَىٰ الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: ﴿ **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾[١].

• وعن أبي موسىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿ **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة لَهَرْجًا** ﴾، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: ﴿ **الْقَتْلُ** ﴾، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقالَ رَسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ** ﴾، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، وَمَعَنَا

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: نزول الفتن كمواقع القطر، ح (٢٨٨٧).

عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ** }، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ: «وَايْمُ الله، إِنِّي لَأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ الله، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا »(١).

لقد وقعت فتن عظيمة وصراعات دُنيويَّة وإرهاصات الهَرْج في المرحلة العباسيَّة، وما تزال الصراعات الدنيويَّة غير الهادفة تأكل من أفراد الأمَّة إلى يومنا هذا. ولعل آخرها ما يحصده حَسْرُ الفرات عن جبل من ذهب من أرواح؛ حيث يُقتَل من كل تسعةٍ سبعةٌ. نسأل الله السلامة من الفتن.

• عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ** }(٢).

يقول النووي رَحِمَهُ اللهُ: « الْمُرَادُ بِالْهَرْجِ هُنَا الْفِتْنَةُ وَاخْتِلَاطُ أُمُورِ النَّاسِ. وَسَبَبُ كَثْرَةِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِيهِ أَنَّ الناسَ يغفُلون عنها ويشتغلون عنها ولايتفرغ لها إلا أفراد »(٣).

ونختم هذه العلامة: بأن من علامات الهَرْج انتشارَ العداوة بين الناس حتى تكون ملحوظة بين الأقارب والجيران (كما حدث في هذه الأيام)، وأن تكون الفتنة عامة تعمُّ جميع الأماكن، بحيث تكون ظاهرة عامة ملحوظة، وينشغل الناس عن العبادة، فبدلًا من تحقيق قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ** ﴾

(١) أخرجه ابن ماجة: ك: الفتن، ب: التثبت في الفتن، ح (٣٩٥٩)، وصحَّحه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: فضل العبادة في الهرج، ح (٢٩٤٨).
(٣) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٧٨).

[الأنعام:٤٣]. يكون عمل الناس: لولا إذ جاءهم بأسنا تمادَّوا وتجادلوا.

## ▫ العَلَامَةُ السَّابِعَةُ: نُقْصانُ العَمَلِ:

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ** } قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: { **القَتْلُ القَتْلُ**..}[1].

ويراد **بنقص العمل** انشغال الناس عن أعمال الآخرة والزهد فيها، كالتقصير في النوافل، وفي قراءة القرآن والصدقات والجهاد، أو عدم الخشوع في الصلاة، وغير ذلك من أعمال الدِّين، ولعل ذلك بسبب تغيُّر قلوب الناس وتوجُّهِها نحو الدُّنيا، والانشغال بها.

قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: « وَأَمَّا نَقْصُ الْعَمَلِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ، فَإِنَّ الْعَامِلَ إِذَا دَهَمَتْهُ الْخُطُوبُ أَلْهَتْهُ عَنْ أَوْرَادِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ ظُهُورُ الْخِيَانَةِ فِي الْأَمَانَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ »[2]، (أي ينقص العامل في عمله فلا يتقنه ولا يحسنه، وكذا التاجر في تجارته، وصاحب العمل في الأجر، ولا يؤدون الأمانة كما ائتُمِنوا عليها، فيضيِّعوها كما هو مُلاحَظ في زماننا هذا).

ومن **أسباب الخلل في العمل**: سوء المطعم، وقلة المساعد على العمل الأخروي، وميل النفس إلى الراحة، وكثرة شياطين الإنس الذين هم أضرُّ من شياطين الجنِّ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٠).

## ◘ العَلَامَةُ الثَّـامِنَةُ: إلقـاءُ الشُّحِّ:

إشارة إلىٰ قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **وَيُلْقَى الشُّحُّ** }(١)، **والشُّحُّ** في أصل اللغة: البُخل، وقيل: البخل مع الحرص، وقيل البخل في المال، والشحُّ بالمال والمعروف، **ومن معاني الشُّحِّ**: أخذ مال الغير بغير حقه، أو منع الزكاة وإدخال الحرام (٢).

فأبرز معاني **الشُّحِّ**: حرص النفس علىٰ ما ملكت أو سلبت وبخلها به، أو بخلها في أداء حقوق الغير ومستحقاتهم، وهي حالة نفسيَّة مَرَضِيَّة مانعة للخير من جميع وجوهه.

• والإلقاء: طرح **الشُّحِّ** بين الناس وشيوعُه، وقبوله، وتمكُّنُه من القلوب، والتواصي به بينهم حتىٰ يصبح سجيَّة مرغوبًا فيها ومَدعُوًّا إليها.

• وهذه العلامة فيها دلالة علىٰ فساد حال الناس، وتغيُّر فطرتهم بحيث يصبح **الشُّحُّ** والتواصي به جزءًا من ثقافة المجتمع، وهذا لا يمكن تصوُّره إلا عند فساد حال الناس، وانتشار الخيانة والأَثَرَة وتضيِيع الحقوق، والانبهار في الدنيا والتحاسد عليها، والتصارع في سبيل نيل القليل منها، ويقابل ذلك الإعراض عن الآخرة، والزهد حتىٰ في ذِكرِها.

وتجد ذلك ملحوظًا في هذا الزمان من عدم الوفاء بالعهد، والتسويف والمماطلة في أداء الديون والحقوق، بل تجد مَن ينصحك بألا تُقرِض أحدًا، وتجد من قصص الناس ما يشجِّع علىٰ ذلك، وقِسْ علىٰ ذلك باقي الأمور حتىٰ علىٰ مستوىٰ العلم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٩٦).

والمعروف والصدقات.

• يقول ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَأَمَّا قَوْلُهُ {وَيُلْقَى الشُّحُّ} فَالْمُرَادُ إِلْقَاؤُهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ حَتَّى يَبْخَلَ الْعَالِمُ بِعِلْمِهِ فَيَتْرُكَ التَّعْلِيمَ وَالْفَتْوَى، وَيَبْخَلَ الصَّانِعُ بِصِنَاعَتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ تَعْلِيمَ غَيْرِهِ، وَيَبْخَلَ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ حَتَّى يَهْلِكَ الْفَقِيرُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ وُجُودَ أَصْلِ الشُّحِّ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا »(١).

## ◘ العَلَامَةُ التَّاسِعَةُ: ظُهورُ الفِتَنِ:

وقد وردت في أحاديث كثيرة، منها: { وَتَظْهَرُ الفِتَنُ }(٢)، سواء فتن الأموال أو النساء، أو فتن الشهوات والشبهات، والتباس الباطل على كثير من الناس، وانتشار الجرائم، واستحلال الْمُحَرَّمات، والفتن بهذا المعنى أمر ملموس في عصرنا، بل تمثل ظاهرة عامة، وسيأتي الحديث عن الفتن بشيء من التفصيل.

## ◘ العَلَامَةُ العَاشِرَةُ: إفَاضَةُ المَالِ:

وقد وردت في أحاديث كثيرة، منها {.. **ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا..** }(٣).

• قد يراد بإفاضة المال الكنوز التي وقعت بأيدي المسلمين بسبب الفتوحات.

• وقد يراد به ما وقع في عهد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة.. عن عَنْ عُمَرَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ:

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) من حديث أخرجه البخاري: ك: الجزية، ب: ما يحذر من الغدر، ح (٣١٧٦).

«إِنَّمَا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا: ثَلَاثِينَ شَهْرًا. لَا وَاللهِ مَا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَتَّىٰ جَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِينَا بِالْمَالِ الْعَظِيمِ فَيَقُولُونَ اجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاءِ فَمَا يَبْرَحُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ بِمَالِهِ يَتَذَكَّرُ مَنْ يَضَعُهُ فِيهِمْ فَلَا يَجِدُهُ فَيَرْجِعُ بِمَالِهِ. قَدْ أَغْنَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ»[١].

• وقد يُراد بإفاضة المال ما يكون في عهد نزول عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** }[٢]. فالناس تزهد في أخذ المال بسبب قرب وقوع السَّاعة.

• وقد يُراد بإفاضة المال كثرته مع كثرة متطلَّبات الحياة بحيث لا يكون للمائة دينار قيمة عظيمة بين الناس بسبب التضخُّم في الأموال، وغلاء السلع، ولا تكفيهم الأموال لحاجتهم، وانتشار الترف وكثرة متطلبات الحياة، وهذا مبني على فساد قلوب الناس وطمعهم في الدنيا، وعدم قناعتهم بالقليل منها، (وهذا ما نعيشه في عصرنا ومن حولنا بشكل لا يحتمل التأويل).

• وقد يُراد بإفاضة المال عدم قبوله بسبب انتشار الفتن وكثرة القتل، وانشغال الناس بذلك؛ مما يجعلهم يُعرِضون عن الأموال، وخاصة عند فتنة الدجَّال، فالمصيبة أكبر، والخطب أشدُّ من أن يلتفت للمال.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٦٣/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ح (٣٤٤٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ حاكما بشريعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (١٥٥).

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ، بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ** }(١) فرفض الصدقة من الذهب إشارة إلى كثرة المال، والزمن الذي يَقِلُّ فيه الرجال، بسبب الفتن والحروب لم يأت بعد.

## ◘ العَلَامَةُ الحادِيَةَ عَشرةَ: التطاولُ في البُنْيانِ:

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة بعبارات مختلفة، منها: { **وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ** }(٢)، { **وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ** }(٣)، { **وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا** }(٤).

**العالَة**: أي الفقراء، **والبَهْم**: جمع بهمة، وهي صغار الضأن والمعز.

• هذه العلامة تشير إلى تقلب حال فئة من الناس من حال القِلَّة والضعف والفقر إلى حال الغِنَى الفاحش المفاجئ، وقد رأينا التنافس في بناء الأبراج في الخليج وغيره بصورة ملحوظة.

## ◘ العَلَامَةُ الثانيةَ عَشرةَ: رؤيةُ الحُفاةِ العُراةِ مُلوكَ الأرضِ:

كما ورد في الحديث: { **وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ،**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الزكاة، ب: الصدقة قبل الردِّ، ح (١٤١٤)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا، ح (١٠١٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان، ب: معرفة الإيمان، ح (٨).

(٤) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: الْإِسْلَامِ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، ح (١٠).

فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا }[١].

## ◘ العَلَامَةُ الثالثةَ عشرةَ: ظُهورُ الزِّنا وانتشارُه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا }**[٢]، وفي رواية أخرى لمسلم: **{ وَيَفْشُوَ الزِّنَا }**[٣].

وعن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القيامة }**[٤].

الحِر: بكسر الحاء: الزنا، سارحتهم: أي الماشية التي يَسرحون بها للرعي.

- إن ظاهرة انتشار الزنا بكثرة بحيث لا ينكرها المجتمع، أو يتعامل معها دون معاقبة، قد كثرت في المجتمعات، أما مقدِّماته فحدِّث ولا حرج، حيث بدأت المجاهرة به في وسائل الإعلام مع تزيينه بعبارات مخادعة كالفن وغيره. وظهور البغايا في أوساط الدول الإسلاميَّة.

---

(١) المصدر السابق، ح (١٠).

(٢) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: رفع العلم وظهور الجهل، ح (٨٠)، ومسلم: ك: العلم، ب: رفع العلم وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح (٢٧٦١).

(٣) أخرجه مسلم: ك: العلم، ب: رفع العلم وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح (٢٧٦١).

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا: ك: الأشربة، ب: ما جاء فيمن يستحل الخمر، ح (٥٩٩٠)، وهي في السلسة الصحيحة للألباني، المجلد الأول، ح (٩١).

• واستحلال الزنا من أقوام يوقِعهم في الكفر، لإنكار شيء معلوم حرمته من الدِّين بالضرورة، بل وُجِدَ في عصرنا من لا يرىٰ في الزنا أي حرمة، بل يرىٰ التيسير فيه نوعًا من تطور المجتمع المدني.

• **والقرامطة** من الفرق الضالة الذين أباحوا كثيرًا من المُحَرَّمات.

والسؤال الآن: هل يمكن اعتبار عدم وجود قوانين تحرم الزنا وتعاقب مرتكبيه هو نوع من استحلال لهذه الحرمة؟!

• وقد وقع المسخ قردة وخنازير لأصحاب السبت الذين تحايلوا علىٰ أمر الله، فناسب ذلك ألا يبقَوا علىٰ إنسانيتهم، بل ينحدروا إلىٰ أخبث المخلوقات. قال تعالىٰ: ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وكذلك استحلال الحرام يترتَّب عليه نفس العقوبة. ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح].

وما دام الإنسان قد وصل لدرجة تعطيل عقله، أو استخدامه بطريقة خاطئة يتحايل فيها علىٰ أمر الله تعالىٰ، فلا داعي لتكريمه، والأليق به أن يكون من أخبث الكائنات وأنجسها علىٰ الأرض.

## ▫ العَلَامَةُ الرابعةَ عَشرةَ: استِحْلالُ الخمرِ وتَسمِيتُها بغيرِ اسمِها:

**{ إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ.. }**(١).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **فِي هَذِهِ الأُمَّة**

---

(١) سبق تخريجه.

**خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ }**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَتَىٰ ذَاكَ؟ قَالَ: **{ إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ }**(١).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ }**(٢)، يعني: يسمُّونها بغير اسمها.

• لقد أثَّر القرآن والسُّنَّة في نظرة المسلمين نحو الخمر وكراهيتها، ونفور كل مسلم منها، إلا أن شياطين الإنس، وأصحاب الشهوات عمدوا إلىٰ اسمها فغيَّروه، وأخرجوا للخمر مسمَّيات جديدة؛ كالمشروبات الروحية، والويسكي، والشنبانيا، والنَّبيِّذ، ومشروب الشعير، وغيره، وفتحوا مصانع لها يخدعون المسلمين وأنفسهم في إباحة ما حرَّم الله سبحانه وتعالىٰ، وتغيير اسم الشيء لا يغيِّر من حقيقته ولا من حكمه شيئًا، فتسمية الخنزير غزالًا لا يحوِّله إلىٰ حيوانٍ مباح الأكل، وتسمية كلِّ مُسكرٍ مُذهِبٍ للعقل بكثرة تناوله بأي اسم آخر لا يغيِّر من حقيقته ولا حكمه، **{ فكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ }**، و **{مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ}**.

• وقد وقعت هذه العلامة قديمًا، فقد ورد أن أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ حَجَّ فَدَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ فَجَعَلَتْ تَسْأَلُهُ عَنِ الشَّامِ وَعَنْ بَرْدِهَا، فَقَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ شَرَابًا لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الطِّلَاءُ، فَقَالَتْ صَدَقَ رَسُولُ الله، وَبَلَّغَ حَتَّىٰ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **{ إِنَّ نَاسًا مِنَ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا }**(٣).

وظاهرة استحلال الْمُحَرَّمات بتغيير المسمَّيات لم يقتصر علىٰ الخمر، بل تعدَّاه

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: الفتن، ح (٢٢١٢)، انظر السلسة الصحيحة م٥، ح (٢٢٠٣).
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢٧٠٩)، وابن ماجة في الأشربة، ح (٣٣٨٥)، السلسة الصحيحة م١، ح (٩٠).
(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٢).

لكثير من المُحَرَّمات في عصرنا، ويُقصَد بتغيير الاسم تزيين القبيح، وتخفيف النفرة من القلوب من اسم ارتبطت النفرة منه بتحريم رباني، لذا نلحَظ في عصرنا تسمية الرِّبا بالفائدة؛ مع أنه في الحقيقة لا فائدة فيه البتة مع حرب الله ﷻ، ومحقه له، وتسمية سفور المرأة وتبرُّجها حضارةً وتمدُّنًا وتحريرًا لها، والتنصُّل من قيم الإسلام وفرائضه وتعاليمه بالتحرُّر والمدنية، وتسمية الرشوة بالهديَّة، والنفاق بالحضارة، والعُرْي والرقص والعِشق بالفنِّ، وغير ذلك كثير.

## ◘ العَلَامَةُ الخامِسَةَ عَشرةَ: اتِّخاذ القَيْناتِ والمَعازِفِ:

هذه العلامة سبق ذكرها في الأحاديث السابقة، ويلاحظ ربط الأحاديث بين آيات اللهو والخمر والزنا والمغنيات والراقصات؛ كأن الأحاديث تشير إلىٰ المحلات أو الدور المسماة بالكباريهات، والتي يُلاحَظ شيوعها في بعض بلاد المسلمين، والغريب أن أماكنها مرخَّصة، وهي عبارة عن بؤر منكرات، إضافة للقمار، ولعل أحاديث المسخ في آخر الزمان يُقصَد بها مثل هذه الأماكن و ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

## ◘ العَلَامَةُ السَّادِسَةَ عَشرةَ: تضييعُ الأمـانةِ ورفعُها:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[الأعراف].

الآية تدل علىٰ أن الخَلْفَ قد ورِثوا أمانة الدِّين من سلَفهم، فطَلَبوا بالرسالة عرَضَ الدنيا، وتَشوَّفَت قلوبُهم إليها، وتنصَّلوا من مواثيق الله تعالىٰ، وفرَّطوا في

هذه الأمانة.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قال رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعة** } قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: { **إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعة** }(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلىٰ علامة تضييع الأمانة، ويترتَّب عليها علامة: توسيد الأمر إلىٰ غير أهله.

والأمانة تُرفَع من القلوب وتُنزَع منه ليلًا، جزاءً وفاقًا، فقد تكرِم إنسانًا، وتضعه في مقام رفيع للقيام بوظيفة ما تتناسب مع هذا المقام الذي وضع فيه، فإن رأيته غفل عن وظيفته، ولم يقم بواجباته، أو استغلَّها في غير ما وُضِعت له، فإنك ترىٰ ضرورة نزعه من مقامه، وتجريده من هذا التكريم. وصدق الله: ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل].

• عَنْ حُذَيْفَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: « حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: { **أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ** }، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: { **يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: رفع الأمانة، ح (٦٤٩٦).

**رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }**. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»(١).

**الوَكْتُ**: أثر الشيء اليسير، **المَجْل**: محل الدُّمَّل في اليد، **نَفِطَ**: تورَّم وانتفخ، مُنْتَبِرًا: منتفِخًا ومتورِّمًا أو مرتفعًا، والمراد **بالمبايعة** هنا: البيع والشراء.

**وللعلماء أقوال في الأمانة: منها**: أن الأمانة هي كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلَّف، وقيل: الأمانة هي الفرائض والنواهي أو التكاليف الشرعيَّة، وقيل: هي العهد الذي أخذه الله على العباد، وقيل: هي الصفة السلوكيَّة التي هي ضد الخيانة (٢).

• والحديث الأول فيه إشارة إلى الأمانة التي نزلت في أصل قلوب الرجال، وهي سرُّ العبوديَّة وروح الإيمان التي تمهِّد لقبولهم مقتضيات التكليف، ثم نزلت التكاليف من قرآن وسنة، فحملها أهلها من الرعيل الأول، وهذا المعنى رآه حذيفة في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

• ويُشير الحديث إلى رفع الأمانة، وقد عبَّر عنه بصُورَتَيْنِ حِسِّيَتَيْنِ:

الأولى: قبض الأمانة وبقاء شيء يسير منها في القلب، يشبه الوكت وهو الأثر

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: رفع الأمانة، ح (٦٤٩٧)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنْ بَعْضِ الْقُلُوبِ، وَعَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ، ح (١٤٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٠).

اليسير الذي يبقىٰ من الشيء من غير لونه، فهذا الأثر أو هذه النقطة هي ما تبقىٰ من القبضة الأولىٰ للأمانة في القلوب.

**الثاني**: القبض الثاني لا يبقىٰ من الأمانة شيء في القلب، ولا يبقىٰ إلا رسمُها، وقد شبهه النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأثر المَجْلِ، وهو الوَرم أو الآثار المتبقيَّة، وهذا الانتفاخ لا خير فيه. والموصوف بالأمانة يُسلَبها حتىٰ يصير خائنًا.

والقلوب إذا أُثقِلت بالذنوب، ولابسَت الفتن ولم تنكرها، وثقلت عليها التكاليف بدأ نزع الأمانة منها.

• ولئن كان حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد بدأ يشعر بنقص الأمانة ويتوجَّس من حال الناس في آخر عهده، فكيف بزماننا الذي اختلفت فيه القلوب، واختلفت فيه الموازين، وانتشرت المنكرات والفتن.

• وفي حديث حذيفة الثاني إشارة إلىٰ اختلاف موازين الناس في حكمهم علىٰ الأشياء والأشخاص؛ وفي ذلك دلالة علىٰ فساد السواد الأعظم منهم، ولفساد حالهم فسد حكمُهم علىٰ الناس، فيقولون عن الرجل ما أظرفَه وما أجلدَه، وليس في قلبه حبة خردل من إيمان، وفي ذلك بيان أن الميزان الإيماني يخرج من اعتبارات الناس في ذلك الزمان، وهذا ما نعيشه في عصرنا؛ فأحكام الناس علىٰ الأشخاص كلها أحكام مبنيَّة علىٰ غير ميزان الإيمان.

• عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟** } قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: { **إِذَا مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا** }، - وَشَبَّكَ يُونُسُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ،

يَصِفُ ذَاكَ -، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَصْنَعُ عِنْدَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: { **اتَّقِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ** }[(١)].

## ◘ العَلَامَةُ السَّابِعَةَ عَشرةَ: تَوْسِيدُ الأمرِ إلى غَيْرِ أهلِه:

ورد بلفظ: «**إذا أُسْنِدَ**»، وبلفظ: «**إذا وُسِّدَ**».

وقد كان حَمَلَةُ الرسالة الأوائل هم حَمَلَةَ الأمانة، وكانوا أتقىٰ الناس وأورعَهم وأعدلَهم، وأكثرَهم استعدادًا لحمل أعباء الرسالة، وأوسعَهم علمًا في شئون الدنيا والآخرة، وأقلَّهم تكلُّفًا في ما يخصُّ الحياة ومتطلَّباتها، وكانوا أكثرَ الناس زهدًا في الدنيا، وأشدَّهم نفورًا من حبائلها؛ لذا سَعِدت بهم الأمانة وازدانت، تحمَّلوا أمر هذا الدِّين قيامًا ونشرًا، وخلافة وإمارة.

• فإذا أصبح حَمَلَةُ الأمانة وقادة الأمَّة، ورعاة الأمر علىٰ نقيض ذلك فعندها تقع الطامة، وتتغيَّر الموازين، وتضيع الأمانة، وتغيب معالم الرسالة، ويدنو الهلاك، عندها فانتظر السَّاعة.

وعندها يُقدَّم الخونة والفسقة وبغاة القوم علىٰ أهل العدالة وحَمَلَةِ الرسالة من أمناء الأمَّة وربانييها.

**وإليك هذه الآثار:**

• عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَىٰ نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: { **إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ** }، قُلْنَا: يَا رَسُولَ

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٦٥٠٨)، وصحَّحه ابن حبان، وأصل الحديث في صحيح البخاري: ك: الصلاة، ب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ح (٤٨٠).

الله وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: { **الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ** }(١).

وكبار القوم ذَوُو السلطة والعلماء، وفسادهم لا ينفع معه أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولا تُرجى الثمرة المرجوَّة منه.

• وعنه أيضًا قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ** }. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: { **الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعامة** }(٢).

وفي الحديث إشارة واضحة إلى مظاهر توسيد الأمر إلى غير أهله.

### ◘ العَلَامَةُ الثامنة عشرة: تَقَارُبُ الأَسْواقِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ** } قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: { **الْقَتْلُ** }(٣).

في الماضي كانت بعض الأسواق ينتقل إليها مسافات طويلة، أما في عصرنا فقد أصبحت كل مدينة بمثابة سوق كبير، حيث انتشرت المحلات تحت البيوت

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ك: الفتن، ب: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾، ح (٤٠١٥)، وأحمد، ح (١٢٩٤٣). قال المقدسي: إسناده صحيح «الأحاديث المختارة (٧/ ٢٢٧)».

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٣٣٠٣)، وابن ماجه: ك: الفتن، ب: الصبر على البلاء، ح (٤٠٣٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحّحه الألباني، وقال العدوي: صحيح لشواهده (الصحيح المسند/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه أحمد، ح (١٠٧٢٤). والحديث صحيح، انظر صحيح المسند (٤١٤)، والسلسة الصحيحة ط، ح (٢٧٧٢).

واتَّصلت مع بعضها، إضافة إلى انتشار مراكز التسوُّق في كل حيٍّ، هذه الصورة التي نحياها تشهد للحديث، وإننا من أهله وزمانه.

## ◘ العَلَامَةُ التاسعةَ عشرةَ: كَثْرَةُ الكَذِبِ:

وقد وردت في الحديث السابق، وهذه العلامة ملحوظة في زماننا، ورافقها انتشار الريبة بين الناس، وأصبح الغالب إما الكذب أو التهويل والمبالغة.

وانتشار الكذب في مجتمع همُّه الدنيا ومصالحها في ظل غياب رسالة الإسلام من أفهام الناس وحياتهم العمليَّة أمر متوقَّع، بل هو نتيجة لإفرازات علامات سابقة؛ كنزع الأمانة وتضييعها، وقبض العلم، وانتشار الجهل، وتقارب الأسواق. فالتجارة إن لم يقم بها صاحب رسالة مؤمن، فلابد أن يكون الكذب أحد وسائلها في التسويق والرَّوَاج، والواقع يشهد بندرة التاجر الأمين، والصانع الأمين، والمزارع الأمين، والمعلِّم الأمين، وهَلُمَّ جَرًّا.

## ◘ العَلَامَةُ العِشرونَ: تَسليمُ الخَاصَّةِ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ }**(١).

وفي رواية: **{ إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ.. }**(٢).

- إفشاء السلام بين المسلمين من أعظم أسباب الإيمان لما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٣٨٤٨)، وهو صحيح لغيره (الصحيح المسند للعدوي (٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٣٨٧٠)، والبخاري في الأدب المفرد، ح (١٠٤٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب (٨٠١).

قَالَ رَسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ** }(١).

وهو خيرُ الإسلام لقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عندما سأله رجُلٌ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: { **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** }(٢).

فالتحيَّة على المعرفة فقط شرخ خطير في طبيعة العلاقة بين أفراد الأمَّة المسلمة، ولوجود اختلال عواطف المسلمين واختلافها، وتنوع توجهاتهم، وتناقض آمالهم، وتفرُّقِهم شيعًا وأحزابًا؛ حتى أصبح الجارُ لا يعرف جاره كالأغراب. ونسأل الله السلامة.

## ◘ العَلَامَةُ الحاديةُ وَالعِشْرونَ: مُساعَدَةُ المرأةِ زَوْجَها في التِّجارَةِ:

عَنْ عَبدِ الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: { **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ** }(٣).

وإدخال العنصر النسائي في التجارة ملحوظ بكثرة في هذا الزمان، ومساعدة المرأة لزوجها في حدِّ ذاته ليس فيه ما يحرم، ولكن في الحديث إشارة تدل على رغبة في الدنيا، وحبِّ جمع المال، والاستهتار بتربية الأبناء، واستهتار في العفَّة والفضيلة

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ..، ح (٥٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: إطعام الطعام من الإسلام، ح (١٢)، ومسلم: ك: الإيمان، تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، ح (٣٩).

(٣) سبق تخريجه هامش (٢)، الصفحة السابقة.

والحياء، كما تدل علىٰ انعدام الغيرة.

فالأسواق شرُّ البقاع، والنساء هي أعظم فتنة تخوَّف منها النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ رجال أمَّته، فكيف إذا تواجدت أعظم فتنة في شرِّ البقاع؟!

وقد يدخل في معنىٰ الحديث مساعدة المرأة لزوجها من خلال امتهانها وظيفة، والملاحظ في هذا الزمان استخدام المرأة ذاتها كسلعة في سوق النخاسة العالمي، فصارت مادة للإعلانات، وعارضة أزياء، وسكرتيرة للرجال، وقد تكون وسيلة جذب في المحال التجاريَّة.

هذا توصيف علامة من علامات السَّاعة أخبر بها النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقعت كما أخبر بها الصادق المصدوق صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وعمل المرأة مساعدة لزوجها في التجارة يجب أن يكون منضبطًا بضوابط الشرع، لكن ارتباطه بعلامات السَّاعة فيه إشارة إلىٰ أن هذه المعاونة في هذا الزمان غير منضبطة بضوابط الشرع الحنيف، وليس لها دواعي سوىٰ التكسُّب والطَّمع، وما يقع في الأسواق بين النساء والرجال من منكرات أمر ملحوظ.

وإخراج العنصر النسائي للعمل ومخالطته للرجال، وإخراجها من وظيفتها الأساسيَّة في البيت إلىٰ معترك الوظائف والعمل والتجارة، هو إحدىٰ إفرازات الحرب الغربيَّة علىٰ الإسلام، وخاصَّة الأسرة والمرأة والبيت تحت مسمىٰ «تحرير المرأة»، ونحن نتساءل: تحريرها مِن ماذا؟!

لقد مثَّل خروجُها ومزاحمتُها للرجال في المواصلات والجامعات والأسواق والمحلات والوظائف امتهانًا لكرامتها، وهتكًا لعفَّتها وطهارتها.

• وهذه العلامة تُشير إلىٰ حال فساد الرجال قبل النساء، وتمكين الطمع فيهم، واستهانتهم بالعِفَّة والكرامة والحِجاب.

## ◘ العَلَامَةُ الثانيةُ وَالعِشْرونَ: انتشارُ الفُحْشِ في التجارةِ والبُيُوعِ:

عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ، وَيَظْهَرَ الْعِلْمُ، وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ: لَا حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلَانٍ، وَيُلْتَمَسَ فِي الْحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فَلَا يُوجَدُ }**(١).

### وقفة

ذُكِرَ في هذا الحديث **ظهور العلم** مع أن الثابت **قبض العلم وظهور الجهل**، ففي بعض روايات الحديث «**يظهر الجهل**» كما ذكر السندي في حاشيته باعتبار ذلك خطأً من الرواة، وهناك وجه آخر ذُكِر بأن معنىٰ **يظهر العلم** أي: يزول، ولكنه معنىٰ بعيد، والصواب والله أعلم أن المراد ظهور العلم بأمور التجارة (وهو من العلوم الدنيويَّة) حيث ذكر ظهور العلم بين علامات كلها لها علاقة بالأموال وهي: (**كثرة الأموال، وانتشار التجارة وفشوُّها والكتابة** ولها علاقة بالنقود).

وهذه العلوم ظهرت في عصرِنا، وتفرَّعت تخصُّصاتها، ولها كلِّيات مستقلة كالتجارة والاقتصاد والإدارة، وكثر خبراء هذا العلم، وخُصِّصت لهذا الفنِّ التجاري وزارات خاصة .. وإلخ.

فظهور العلم علىٰ هذا الوجه المعلوم في عصرنا هو علامة مستقلة من علامات

---

**(١) أخرجه النسائي: ك: البيوع، ب: في التجارة، ح (٤٤٥٦). (سنن النسائي ٧/ ٢٤٤).**

السَّاعة، ولا يتنافىٰ مع أحاديث قبض العلم الذي يُراد بها علم الدِّين علىٰ وجه الخصوص.

والحديث يُشير إلىٰ رغبة الرجل في بيع أو شراء سلعة ما، ثم يتوقف عن البيع ليستشير تاجرًا متخصِّصًا في ذلك؛ لفساد ذِمَمِ الناس وانتشار الفُحش بينهم.

## ◘ العَلَامَةُ الثالثةُ وَالعِشْرونَ:

## غيابُ المِعيارِ الدِّيني في التمييزِ بينَ الحقِّ والباطلِ والحكمِ على الناسِ:

• عَنْ عَبدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ، نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغَيَّرْ، وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ** }(١).

• الحديث يشير إلىٰ اختلال موازين المجتمع لدرجة أنهم يرون الفضيلة جريمة يُعاقَب عليها صاحبُها، والمصلِح يتحوَّل في نظرهم إلىٰ مُفسِد يجب التخلُّص منه.

(**تخوين الأمين، وتأمين الخائن، وتصديق الكاذب، وتكذيب الصادق**)، وهذا يدل علىٰ فساد حال الأمَّة، أو فساد المتنفِّذين في القرار فيها، وقوة تأثيرهم علىٰ عامة الناس، وتلاعبهم بالحقائق، وبيان للحرب الإعلاميَّة علىٰ أهل الحق، فيعمد العامة إلىٰ إسناد الأمر أو الرضا به للخَوَنَة الكَذبَةِ، وإقصاء المؤتمنين الصادقين.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٦٨٨٢)، والحديث صحيح لشواهده «الصحيح المسند للعدوي» (٣٩٨).

ولقد حدث ذلك ولا غرابة في الأمم السابقة التي هلكت. قال الله تعالىٰ:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[الأعراف].

• وفي الحديث تنبيه لأفراد الأمَّة للحذر من الإشاعات، والتثبت من حقيقتها، خاصة إذا تعلَّقت بأهل الصلاح والتقوىٰ، وسيرتهم تدل علىٰ الصدق والأمانة، والأصل في أفراد الأمَّة ألا ينعقون مع كل ناعق، والحديث فيه إشارة لرفع الأمانة كما ورد في الحديث: { **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** }[1].

## ◘ العَلَامَةُ الرابعةُ وَالعِشْرونَ: ظُهورُ الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ:

وقد ذُكِرت هذه العلامة في حديث العلامة السابقة (الثالثة والعشرين).

**والفُحْشِ**: كل قبيح في القول والعمل، و**التفحُّش**: تكلُّف سَبِّ الناسِ وتعمُّده.

• لقد أصبحت الألفاظ البذيئة أو الفاحشة فاكهةً يُتَفَكَّه بها في المجالس، فإذا أضفنا إلىٰ ذلك انتشار الزِّنا ومُقدِّماتُه، والسُّعارُ الجنسيُّ والانحلالُ الخلقيُّ التي تثيره وسائل الإعلام المرئيَّة والمسموعة والمكتوبة، إضافة إلىٰ تزيين الفُحش والتفحُّش بجميع أشكاله حتىٰ أصبح فنًّا، وأهله نجومًا، فالحال أبلغ في البيان من دلالة المقال حتىٰ حدوث هذه العلامة.

---

(١) سبق تخريجه.

## ◘ العَلَامَةُ الخامسةُ وَالعِشْرونَ: سُوءُ الجِـوارِ:

وقد ذكرت هذه العلامة في حديث العلامة الثالثة والعشرين أيضًا.

• وسُوء الجِوار نتيجة لازمة لمجتمع تحلَّل من تعاليم الإسلام، وتشبَّع بالتشبُّه بالغرب؛ مجتمع انتشر فيه الكَذِب والريبة والتنافس على الدنيا والتحاسُد.

• وسُوء الجِوار غيرُ جار السُّوء الذي كان يتعوَّذ منه النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يمثِّل حالة نادرة في المجتمع المسلم النظيف، أما سُوء الجوار فهي حالة غالبة في المجتمع، وهذه العلامة تُشير إلى تطوُّر في الجانب الاجتماعي للأمَّة، فبعد أن كان الجار يتألَّم لألم جاره، ويفرح لفرحه، أصبحوا يتتبَّعون العورات، ويتصيَّدون الأخطاء، ويكتمون المحاسِن، ويتحيَّنون الفرص للكَيد والمكر.

• قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ }**(١)، وقالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ»** قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **{ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ }**(٢). وقالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ }**(٣).

فإهمالُ حُقوقِ الجار، ونِسيانُ الوصيَّةِ به في السُّنَّة، وقَسَمُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثَ مرات بنفي الإيمان عن كل إنسان، وبأنه لا يدخل الجنة إذا كان جيرانه لا يأمنون بوائقَه؛ أي ظلمه وشرورَه وتعدِّيه على أعراضهم أو أموالهم، أو لحومهم، كل

---

**(١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: الوصاة بالجار، ح (٦٠١٥)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: الوصية بالجار والإحسان إليه، ح (٢٦٢٥)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.**

**(٢) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ح (٦٠١٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.**

**(٣) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بيان تحريم إيذاء الجار، ح (٤٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.**

ذلك دليل على الانتكاسة في الإيمان وظهور هذه العلامة.

• وقد فهم الرعيل الأول هذه التربية الإيمانيَّة فأضحَوًا وكأنهم أسرة واحدة متكافئة متعاونة، وكانت الجيرة نعمة على أصحابها، ورحمة بهم، ومَن يشهد واقع المسلمين حاليًا فإنه يعلم بدلالة الحال أن هذه النعمة أو بعضها قد سُلِب من الأمَّة.

## ◘ العَلَامَةُ السَّادِسَةُ وَالعِشْرونَ: قَطعُ الأرْحامِ:

وقد وردت هذه العلامة في الحديث الوارد في **العلامة العشرين، والعلامة الحادية والعشرين**، وقد حذَّرنا الله تعالى منها بقوله: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾**﴾[محمد].

والرَّحِمُ تُطلَق على الأقارب من المحارم؛ كالعمَّة والخالة، والعمِّ والخال، والأخ والأخت، والابن والبنت وإن سفل، والأب والأم وإن علا.

وقيل الرَّحِم تُطلَق على من بينه وبين الآخر نسب، سواء يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا، وبهذا المعنى تشمل أولاد العمِّ وأولاد الخال(١).

والرَّحِم اشتق اسمها من الرحمة، مَن وصلها وصله الله، ومَن قطعها قطعه الله؛ أي هي عنوان صلة أو قطع مع الله سبحانه؛ وذلك لعِظَم حقها عنده، وهي من أسباب دخول الجنة، التي لا يدخلها قاطع، وصلة الرحم سبب في بركة الأجل والرزق وامتداد الذكر لصاحبها(٢).

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/ ٤٢٨).

(٢) انظر فتح الباري، كتاب البر والصلة، حيث تضمن ثمانية أبواب، وعشرة أحاديث في فضل صلة الرحم وخطورة قطعها (١٠/ ٤٢٨- ٤٣٨).

• قطعُ الرَّحِم صِنْوُ الفساد في الأرض، ووقوعُه علامة من علامات اللعنة الربانيَّة لمرتكبه، وهذه العلامة نشهد وقوعها في عصرنا بأوسع أشكالها، ساعد على ذلك التخلُّق بأخلاق الغرب، والتشبُّه بهم، فأخلاق الغرب لا تعرف رَحِمًا ولا أمًّا ولا أبًا، إلا المصالح الشخصيَّة في أكثرهم.

## ◘ العَلاَمَةُ السَّابعةُ وَالعِشْرونَ: انتشارُ شهادةِ الزُّورِ وكتمانِ الحقِّ:

وذكرت هذه العلامة في الحديث الوارد في العلامة السابقة، وتعتبر شهادة الزور من أكبر الكبائر، والزور هو الكذب والافتراء بقصد تغيير الحقائق، وتضييع الحقوق أو اغتصابها، وإيقاع الظلم على الأبرياء، وتبرئة ساحة المجرمين.

والزور بهذا المعنى لم يَفْشُ في القرون الثلاثة الأولى الخيِّرة لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ }**(١).

• والملاحظ في عصرنا هذا أنه يسهل فيه شراء الذِّمَمِ بأبخس الأثمان، فعصرُنا يشهد بمصداقيَّة وقوع هذه العلامة، وهي نتيجة لفساد دين الناس - إلا من رحم الله- يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل.

• وكتمان الحق تغييب للحقيقة بما يترتَّب عليه ضياع الحقوق وصعوبة إثباتها، وفيه إشارة إلى عدم استعداد الناس لتحمُّل الشهادة، وتحمُّل تبعاتها لأجل إحقاق الحق في الأرض، وشعار الأغلب من الناس نفسي نفسي، وقد ذمَّ القرآنُ كاتمَ شهادة الحقِّ بقوله: ﴿ **وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الشهادات، لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، ح (٢٦٥١).

﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ [البقرة].

## ◘ العَلَامَةُ الثامنةُ وَالعِشْرونَ: ظُهورُ القَلَمِ(١).

والقلم الأداة الرئيسة للكتابة، ولعل المراد هنا انتشار المؤلفات والكتب، وانتشار الأدوات المعينة عليه كالآلة الكاتبة والكمبيوتر وغيره، وهذا الظهور للقلم لم يُعهَدْ في تاريخ البشريَّة بشكل شبيه بعصرنا، حيث يقال: عصر العلم والمعرفة، وصدق الله: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم]، فعصر العلم والمعرفة هو عصر علم ظاهر الحياة الدنيا.

قال البرزخي: «**فُشُوُّ القلَم**: كناية عن كثرة الكتابة وقلة العلماء، يعني يكتفون بتعليم الخط ليخالطوا الحكام»(٢).

ويمكن القول إن المراد بظهور القلم ما نلحظه من انتشار التعلُّم طلبًا للدنيا، وسعيًا لنيل المناصب، ولا يُراد به وجه الله سبحانه وتعالى؛ حيث أصبح تحصيل الشهادات العلمية هدفًا، وعجَّ المجتمع بمن تحمله الشهادة، لا بمن يحمل الشهادة الدالة حقيقة على علم صاحبها.

## ◘ العَلَامَةُ التَّاسعةُ وَالعِشْرونَ: هَيْمَنَةُ الأشْرارِ، وتَحقيرُ الأخْيارِ:

عَنْ عَبدِ الله بن عَمرو، عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: { **مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعة: أَنْ يُرْفَعَ الأَشْرَارُ، ويُوضَعَ الأَخْيَارُ، ويُفْتَحَ القَوْلُ، ويُحْبَسَ العَمَلُ، ويُقْرَأَ**

---

(١) وردت هذه العلامة في الحديث الوارد في العلامات السابقة، راجع حديث العلامة العشرين وما بعدها.
(٢) الإشاعة في أشراط الساعة، للبرزنجي، ص (١٢٨).

في القَوْمِ المَثْنَاةُ }، قيل: وما المَثْنَاةُ ؟ قال: { مَا كُتِبَ سِوَى كِتَابِ اللهِ }(١).

هذا الحديث يتضمن خمس علامات للسَّاعة، منها: **هيمنة الأشرار، وتحقير الأخيار**، وهيمنة الأشرار ورفعهم في الأرض يترتَّب عليه - لا محالة - تحقير الأخيار، وإخراجهم من دائرة القرار المصيري للأمَّة، بل وجعلهم في موطن الاتِّهام لئلا تهوي إليهم أفئدة الناس.

وهاتان العلامتان متلازمتان مع علامات تأمين الخائن وتخوين الأمين، وتصديق الكاذب، وتكذيب الصادق؛ لأن فساد حال الناس يرافقه حرب إعلاميَّة قويَّة مغيِّرة للحقائق، ويترتَّب عليه ثلاثة أمور:

**الأول:** اختلاف معايير الناس في الحكم على الأمور، واختلاط الأمر عليهم في تحديد مفاهيم الصدق والأمانة، والكذب والخيانة وفق المنهج الرباني.

**الثاني:** اختلاف نظرة الناس للأشياء، واشتباه الأمور عليهم بحيث يرفعون الأشرار ظنًّا منهم أنهم أخيار، أو أن بأيديهم تحقيق الخير لهم، وذلك في ظلِّ حرب إعلاميَّة شَرِسَة موجَّهة.

**الثالث:** أن تكون هيمنة الأشرار بطريقة قسريَّة لا يملك المجتمع تغييرها، فإذا هيمن الأشرارُ، فلا محالةَ سيُحَقَّر الأخيارُ ويُتَّهمون ويُخرجون من دائرة القرار، أو توجيه دفَّة الأمَّة.

وهذه الأمور الثلاث يشهد لها واقع المسلمين، ورفعة الأشرار لا تكون إلا في

---

(١) أخرجه الدارمي، ح (٤٧٦)، والحاكم في المستدرك، ح (٨٦٦٠،٨٦٦١)، وقال صحيح الإسناد، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ح (١٤٥٥٩) ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٦).

حال فساد الناس وتوجهاتهم، واتساع دائرة الفساد أو التوجهات المخالفة لدين الله في المجتمعات، يترتَّب عليه رفعة الأشرار سواء على المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، (والذي خبث لا يخرج إلا نكِدًا).

## ◘ العَلَامَةُ الثَّلاثونَ: هَلاكُ الوُعولِ، وظُهورُ التُّحوتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: { **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنُ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكُ الْوُعُولُ، وَيَظْهَرُ التُّحُوتُ** } فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الْوُعُولُ وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: { **الْوُعُولُ وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتُّحُوتُ الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ** }(١).

وعنه أيضًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: { **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة: أَنْ يَظْهَرَ الشُّحُّ، وَالْفُحْشُ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ الْأَمِينُ، وَيَظْهَرُ ثِيَابٌ يَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، ويَعْلُو التُّحوتُ الْوُعُولَ** }... وسُئِلَ ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَا التُّحوتُ؟ قَالَ: فُسُولُ الرِّجَالِ، وَأَهْلُ الْبُيُوتِ الْغَامِضَةِ، يُرْفَعُونَ فَوْقَ صَالِحِيهِمْ. **وَالْوُعُولُ**: أَهْلُ الْبُيُوتِ الصَّالِحَةِ(٢).

وهذه العلامة لها علاقة بالعلامة التي سبقتها، ففي ظل منظومة عامة يسيطر فيها الأشرار، يكون الأخيار أو الوعول عرضة للملاحقة والهلاك بنوعَيْه

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ح (٨٦٤٤)، وصحَّحه ابن حبان، ح (٦٨٤٤)، انظر مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح (٧٤٨)، وذكره الهيثمي، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن الحارث بن سفيان وهو ثقة [مجمع الزوائد: ٧/ ٣٢٧].

الحقيقي والمعنوي.

ونلحظ من الحديث مدىٰ الانتكاسة التي تقع فيها الأمَّة؛ حيث تتغيَّر موازينها الربانيَّة إلىٰ موازين شيطانيَّة، حيث كان الميزان الوحيد المعتبر في الرعيل الأول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وبه عملوا، دون النظر إلىٰ لون أو جنس أو نسب، وكان لا يعتدُّ بغير هذا الميزان، ثم أصبح الميزان الرباني هذا في قفص الاتهام، وأصبح أهل الفضل والعدل من البيوت الصالحة موطن تهمة وريبة، يقابل ذلك ترفع فسول الناس من أهل البيوت الغامضة، وتصدرهم موقع القرار وزمام أمر الأمَّة.

• وفي الحديث الثاني نلحظ أنه أشار إلىٰ ظهور ثياب نساء كاسيات عاريات، والظهور معناه الشهرة والرَّواج لهذه الثياب؛ وكأن في الحديث إشارة إلىٰ تلك الملابس النسائيَّة المعزِّزة للفُحش والعُرْيِ والتي تَزخَر بها المحلات التجاريَّة، والتي أصبحت في باب الشائع المألوف، وكذلك ما يُسَمَّىٰ بالموضة، ولها في بلادنا نساء تقوم بعرضها في دور الأزياء لترويجها.

## ◘ العَلَامَةُ الحاديةُ والثَّلاثُونَ: أنْ يَكونَ أَسْعَدَ الناسِ اللُّؤَماءُ والسُّفَهاءُ:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ** }، وفي رواية ابن حبَّان: { **لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى تَكُونَ عِنْدَ لُكَعِ بْنِ لُكَعٍ** }(١).

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، ح (٢٣٠٩)، وقال: حديث حسن، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٠)،

وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: اللُّكَعُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْعَبْدُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْحَمَقِ وَالذَّمِّ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ لُكَعُ وَلِلْمَرْأَةِ لَكَاعِ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي النِّدَاءِ وَهُوَ اللَّئِيمُ، وَقِيلَ الْوَسَخُ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّغِيرِ، .. فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى الْكَبِيرِ أُرِيدَ بِهِ الصَّغِيرُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ [(١)].

والمقصود هنا بالسَّعادة؛ السعادة الدنيويَّة في تيسير أحوال اللُّكَع في دنياه، فالزمان زمانه، وهذه العلامة والعلامتان اللتان سبقتاها يشهد لهما واقع المسلمين، ويعتبران من دلائل نبوة النبيِّ محمدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث وقع ما أخبر على الوجه الذي وصفه.

## ◘ العَلَامَةُ الثَّانيةُ والثَّلاثُونَ: تعظيمُ الناسِ لكُتُبٍ غيرِ كتابِ اللهِ:

هذه العلامة أشار إليها النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **{ ويُقْرَأَ في القَوْمِ المَثْنَاةُ }**، قيل: وما المَثْنَاةُ ؟ قال: **{ مَا كُتِبَ سِوَى كِتَابِ الله }**[(٢)]، وهذه العلامة تشير إلى أن بعض المنتسبين إلى الإسلام سيكون منهم إعراض عن كتاب الله، وابتداع بعض الكتب لكبرائهم أو عظمائهم يتلونها بينهم كما يتلى القرآن، مثل أوراد بعض الطرق الصوفيَّة، وكتب ومؤلفات مشايخ الفرق والجماعات، وتقديم متون مذهبيَّة على حساب كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولعل أصدق مثال على ذلك كتاب الجَفر الذي اختلقته بعض الفرق الباطنيَّة والشيعيَّة ونسبوه زورًا للإمام جعفر الصادق.

يقول الكُلَيْني - وهو من غُلاة الشيعة- في كتابه (الكافي): «إن الجفر فيه توراة

---

وأخرجه ابن حبان في صحيحه: ك: التاريخ، ح (٦٧٢١).

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٦٨)، وانظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٣٧٥).

(٢) سبق تخريجه ص: (٦٩) في العلامة التاسعة والعشرين.

موسىٰ وإنجيل عيسىٰ وعلوم الأنبياء والأوصياء، وعلم الحلال والحرام، وعلىٰ ما كان وما يكون»(١).

ويُراد بهذا الكلام إضفاء قدسيَّة علىٰ هذا الكتاب تَفُوق القرآن الكريم لصرف الناس إليه، وقد يُقصَد بالمثناة القراءة في الأناجيل والتوراة (العهد القديم والجديد) المحرَّفَين قبل دراسة الكتاب والسُّنَّة، وقد نهىٰ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك؛ لأن في كتاب الله وسنة رسوله من الوحي الصحيح ما يكفي.

## ◘ العَلَامَةُ الثَّالثةُ والثَّلاثُونَ: عَوْدَةُ الوَثَنيَّةِ والشِّرْكِ:

عن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { ... **وَلَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**.. }(٢).

وقد وقعت هذه العلامة في عهد أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث ارتدَّت كثير من قبائل العرب بعد موت النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انحسرت هذه الظاهرة نهائيًّا بفضل الله تعالىٰ بحروب الردَّةِ، ثم بدأت تعود تدريجيًّا بشكل غير صريح من خلال:

**١ـ تعظيم القبور والمشاهد،** والذي حذر القرآن والسُّنَّة منه، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله قائلًا: { **اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ** }، فحفظ الله تعالىٰ قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن قبور آل بيته هي التي تحوَّلت إلىٰ أوثان تُعبَد من دون الله، وتُقصَد بشكل تعبُّدي كما هو معروف عند الشيعة الروافض، وأصبحت

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلاميَّة، ص (٦٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٥٢)، والترمذي: أبواب الفتن، ب: ماجاء لا تقوم السَّاعة حتى يخرج دجَّالون، ح (٢٢١٩) وقال: حديث حسن صحيح.

قدسيَّة هذه القبور لديهم تساوي قدسيَّة الحرمين الشريفين؛ بل تزيد، وهناك كثير من طوائف الصوفيَّة وافقوا الشيعة في هذا المنحَىٰ، وعظَّموا قبور الأولياء، وتبرَّكوا بها، وقصدوها للزيارة.

**٢ـ التشبُّه بالكافرين**: وقد أصبح اليوم ظاهرة مألوفة، حتىٰ تكاد لا تفرِّق اليوم بين بيوت المسلمين وبيوت الكافرين، وزيِّ أهل الإسلام وأهل الشرك، وطريقة الحياة والتعامل من التحيَّة والسلام والخُلُق والتعامل، ومن المعلوم أن من تشبه بقوم فهو منهم.

**٣ـ ترك موالاة المؤمنين، وموالاة الكافرين**، والله ﷻ قال: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ** ﴾[المائدة:٥١].

**٤ـ الردَّة عن الإسلام والتنصَّر أو التهوّد** من أجل العمل أو المادة أو الفوز بشهوة محرمة أو امرأة، منهم. وأغلب هؤلاء ـ وإن كانوا قلَّة ـ إلا أن معظمهم ارتدَّ تحت تأثير الحاجة والإغواء، وسريعًا ما يعود إلىٰ إسلامه ورشده مرة أخرىٰ.

**٥ـ شِرْكُ التشريع**، وهو شكل من أشكال كثيرة من الوثنيَّة والشرك ابتليت بها الأمَّة، ويتمثل ذلك في تنحية شريعة الله تبارك وتعالىٰ والتحاكم إلىٰ الشرائع الوضعية والقوانين الأرضية؛ ومن ذلك: تحريم الختان، وتحديد سِنِّ الزواج، وإباحة الشذوذ بين الجنسين، وممارسة الجنس دون روابط، وغير ذلك مما قرَّره مؤتمر السكان المشبوه من قرارات. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ** ﴾[الشورى:٢١].

## ◘ العَلَامَةُ الرابعةُ والثَّلاثُونَ: التَّباهي في المساجِدِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ** }(١).

والمراد **بالتباهي في المساجد**: التفاخر في شأنها أو بنائها؛ أي يتفاخر كل أحد بمسجده، ويقول: مسجدي أجمل وأزين وأحسن وأوسع رياءً وسُمعة وجلبًا للمدح.

قال ابْنُ رَسْلَانَ: « هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِإِخْبَارِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَمَّا سَيَقَعُ بَعْدَهُ، فَإِنَّ تَزْوِيقَ الْمَسَاجِدِ وَالْمُبَاهَاةُ بِزَخْرَفَتِهَا كَثُرَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِالْقَاهِرَةِ وَالشَّامِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ بِأَخْذِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ ظُلْمًا وَعِمَارَتِهِمْ بِهَا الْمَدَارِسَ عَلَىٰ شَكْلٍ بَدِيعٍ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ »(٢).

وما عهده ابن رسلان رَحِمَهُٱللَّهُ في عصره نعهده اليوم في عصرنا بشكل أوضح، حتىٰ كأن هذه العلامة من علامات هذا العصر.

[ولقد صليت في مسجد في مدينة أبو ظبي (مسجد الشيخ زايد) لا تكاد ترىٰ آخر المسجد بالعين من سعته وكبر ساحته وفخامته، صليت فيه الفجر أنا والمؤذن فقط، فكم كلَّف بناء هذا المسجد وزخرفته - أكيد مليارات وليس ملايين -، ثم فوجئت ببناء مسجد الشيخ زايد، والذي دفن في ساحة قريبة منه، وقد كلف مليارات، وهي من الآثار الهامَّة لزائر أبو ظبي (مزار سياحي)، في نفس الوقت أو

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الصلاة، ب: في بناء المساجد، ح (٤٤٩)، وابن ماجه، ح (٧٣٩)، وأحمد، ح (١٢٣٧٩)، وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح، (صحيح ابن حبان ١٥/ ١٦٢).
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢/ ١١٨).

قبله بقليل، وبنى ملك المغرب أيضًا مسجدًا على شاطئ البحر كلَّفه مليارات الدولارات ليكون مفخرةً ومزارًا للسائحين، وحدِّث ولا حرج في سائر بلاد الخليج، وما ينفق إلى الآن على توسعة الحرمين، ـ كلما ذهب ملك وأتى آخر ـ، كل ذلك يؤكد هذه المعجزة النبويَّة التي أخبر بها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: { **مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ** }. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»(١).

قال الخطابي: «التشييد رفع البناء وتطويله»(٢). [يعني علوَّ المآذن تقليدًا للنصارى في كنائسهم]، والزخرفة هنا التزيين والنقوش ونحو ذلك.

• وهذه العلامة (زخرفة المساجد والتباهي بها) قد ورثتها الأمَّة من اليهود والنصارى، فإنهم عندما حرَّفوا وبدَّلوا وتركوا العمل بكتبهم بدءوا ينتبهون للأمور الشكليَّة، فعمَدوا إلى تزيين كنائسهم مراءاة وتفاخرًا ومباهاة فيما بينهم،

وصار من هذه الأمَّة مَن يطلب الدنيا بالدِّين، وتركوا الإخلاص في العمل، وصار أمرهم إلى المراءاة بالمساجد، والمباهاة في تشييدها وتزيينها.

[والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول عمل له بالمدينة بنى المسجد لكنه من جذوع النخل، وسقَّفه بالجريد والحصى في أرضه، وقد اهتمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر ببناء الرجال عَمَدِ الأمَّة وعُدَّتِها، ونحن في عصر الانتكاسة صار جُلُّ اهتمامنا بالمساجد وأهملنا بناء الرجال، والفرق بيننا وبين أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الفرق

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الصلاة، ب: في بناء المساجد، ح (٤٤٨)،وصحَّحه الألباني.
(٢) عون المعبود (٢/ ١١٧).

بين مساجدنا ومساجدهم، وحال رجالنا وحال رجالهم، فتجد الناس يتسارعون إذا دعاهم داعٍ لتعمير مسجد أو توسعته أو المساهمة فيه ـ وهو أمر طيب ـ لكنهم يتلكَّئون إذا دعاهم داعٍ للإنفاق على العلم الشرعي وكفالة العلماء والمحفِّظين والدعاة أو أي وجه آخر من أوجه بناء الأمَّة وإعزازها، كالجهاد في سبيل الله].

• ومن المعلوم أن المسجد النبوي الذي خرَّج أعظم رجال عرفتهم البشريَّة كان من أبسط المباني، حيث كان من الجريد، وكان المطر يصيب أرض المصلى، وعندما فُتِحت بلاد فارس والروم على المسلمين، وسيقت كنوزُها إلى الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يغيِّر من حال المسجد شيئًا إلا بعض التوسعة، فبقي على بساطته، بالرغم من سعة حال المسلمين.

ولعل الأمر يرتبط بطريقة تفكير الرعيل الأول الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة، والذي يركِّز على جوهر الأمور والمقاصد العليا، ويُعرِض عن الشكليَّات التزيينيَّة المُلهية؛ لذا لم يكن في المسجد النبوي أيُّ زينة تذكر، سوى تزيُّنِه بالقلوب الخاشعة العامرة بالإيمان.

• والتباهي بزخرفة المساجد ليس فيه دلالة على تعلُّقهم ببيوت الله، وإن قالوا هذا أفضل من تباهيهم بأمور منكرة؛ لأن التباهي هنا لا يُراد به وجه الله بقدر ما يُراد به تفاخر دنيوي فيما بينهم على معلَم من معالمهم.

• والزخرفة والتزيين والتباهي في المساجد فيه إشارة إلى أن الأمَّة قد ساء عملها الأخروي، وبدأ انشغالها بأمور دنياها.

وفي الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِذَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ،**

**فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ }**(١)، فزخرفة المساجد عنوان دمار على أصحابها.

• وقال البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «كَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ»، وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ وَقَالَ: «أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ المَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ» وَقَالَ أَنَسٌ: «يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لاَ يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا»(٢).

• وعن نَافِعٌ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، أَخْبَرَهُ « أَنَّ المَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ، وَسَقْفُهُ الجَرِيدُ، وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّبِنِ وَالجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً: وَبَنَى جِدَارَهُ بِالحِجَارَةِ المَنْقُوشَةِ، وَالقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ »(٣).

« وَقَالَ ابنُ بَطَّالٍ وَغَيْرُهُ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ فِي بُنْيَانِ المَسْجِدِ الْقَصْدُ وَتَرْكُ الْغُلُوِّ فِي تَحْسِينِهِ فَقَدْ كَانَ عُمَرُ مَعَ كَثْرَةِ الْفُتُوحِ فِي أَيَّامِهِ وَسَعَةِ المَالِ عِنْدَهُ لَمْ يُغَيِّرِ المَسْجِدَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا احْتَاجَ إِلَى تَجْدِيدِهِ لِأَنَّ جَرِيدَ النَّخْلِ كَانَ قَدْ نَخِرَ فِي أَيَّامِهِ ثُمَّ كَانَ عُثْمَانُ وَالمَالُ فِي زَمَانه أَكثر فحسنه بِمَا لايقتضي الزَّخْرفَةَ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ وَأَوَّلُ مَنْ زَخْرَفَ المَسَاجِدَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَسَكَتَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ إِنْكَارِ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ »(٤).

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣/ ٢٥٦)، وابن المبارك في الزهد عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (فيض القدير (١/ ٣٦٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، ح (٥٨٥).
(٢) أخرجه البخاري معلقًا: ك: الصلاة، ب: بنيان المسجد.
(٣) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: بنيان الصلاة، ح (٤٤٦).
(٤) فتح الباري (١/ ٥٤٠).

• ويحتمل الحديث معنى آخر وهو أن الناس لفساد حالهم وتغيُّر قلوبهم وانبهارهم بالدنيا وانغماسهم في شهوتها، انتقل فساد حالها للمساجد فتحولت إلى معارض للتباهي في أمور الدنيا، بدلًا من أن تكون مكانًا للافتقار لله والانشغال بعبادته، وهذا المعنى يرشد إليه قولُ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسَاجِدِ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ»(١) أي: [ليس فيهم إلا منافق].

وَعَنْ عَبدِ الله بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « لَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا مُنْذُ زَمَانٍ: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِشْرِينَ رَجُلًا، أَوْ أَقَلَّ، أَوْ أَكْثَرَ، فَتَصَفَّحْتَ فِي وُجُوهِهِمْ، فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ رَجُلًا يُهَابُ فِي الله، فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ رَقَّ »(٢).

## ◘ العَلَامَةُ الخامسةُ والثَّلاثُونَ: اتِّبَاعُ سَنَنِ الأممِ السابقةِ في طَريقةِ الملكِ ونظامِ الحكمِ، وفي طريقةِ تعاطيهم مع دينِ الله عَزَّ وَجَلَّ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لاَ تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ** }، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: { **وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ** }(٣).

**تَأْخُذَ أُمَّتِي**: يُراد بالأخذ هنا السيرة، يقال فلان بأخذ فلان، أي سار بسيرته، **والقُرون**: جمع قَرن، وهو الأمَّة من الناس.

وفارس والروم هما النظامان السياسيَّان اللَّذان عَهِدَهما الصحابة في عصرهم؛

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ح (٨٣٦٥)، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي (٤/ ٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٧٦٧٩)، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد جيد (مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الاعتصام، ب: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لتتبعن سنن من كان قبلكم}، ح (٧٣١٩).

أي: أنهم سينهجون نهج كسرىٰ وقيصر في طريقة الحكم، وسيأتي الحديث عن اتباع اليهود والنصارىٰ في طرائق تعاملهم مع أصول ديانتهم وفروعها.

• والحديث يشير إلىٰ أن من علامات السَّاعة الصُّغْرَىٰ أن الأمَّة سينتشر في نظامها السياسي مظالم ومناهج ملك الروم والفرس، من ظلم الأمراء، وتضييع حقوق الرعيَّة، وتقليدهم في نظامهم السياسي، [وما انتشار الشيوعيَّة والرأسماليَّة والديمقراطيَّة في بلاد المسلمين وتفضيلها علىٰ نظم الإسلام في الحكم إلا دليلًا علىٰ وقوع تلك العلامة].

وتشمل الأحاديث ما سيترتَّب علىٰ فساد النظام السياسي من فساد اجتماعي وديني واقتصادي.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**}، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: { **فَمَنْ** }(١).

**والسَّنَن**: جمع سُنَّة وهي الطريقة، **وجُحْرَ ضَبٍّ**: بيت صغير لزاحف صحراوي معروف، **شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**: تمثيل للاقتداء بهم في كل صغيرة وكبيرة مما ذمَّه الشرع ونهىٰ عنه.

• وهذا الحديث لا يشمل كل الأمَّة، إنما سوادها الأعظم، وذلك لما ثبت من بقاء طائفة علىٰ الحق إلىٰ قيام السَّاعة، وهم غُرَباء الأمَّة.

• ويعتبر هذا الحديث من أجمع الأحاديث علىٰ العلامات الصُّغْرَىٰ، وهو

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٧٣٢٠).

أشمل من سابقه، ولو لم يكن إلا هذا الحديث من الدلالة على معالم انحراف الأمَّة ونتائجه لكفاها.

• وتتبع طرائق اليهود والنصارى؛ أي صراط المغضوب عليهم والضالين، وقد جاء تفصيل أسباب غضب الله عليهم وضلالهم من تحريفهم كتبهم (التوراة والإنجيل)، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، واتهامهم للأنبياء وتكذيبهم إياهم، وتحايلهم على أمر الله كما فعل أصحاب السبت، وكثرة أسئلتهم، ومماطلتهم للهروب من اتِّباع الأمر كما في قصة البقرة، وسوء أدبهم مع الله كقولهم: إن يد الله مغلولة، وعدم صبرهم على أمر الله، وسعيهم وراء حطام الدنيا كما في قصة المنِّ والسلوى، واتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، ووضعهم الصور والتماثيل في الكنائس، واختلاف قلوبهم وقسوتها، وطلبهم العزَّة من الناس، وادعائهم أن لله ولدًا، وابتداعهم الرهبانيَّة.. وغير ذلك كثير.

ولقد وجد في هذه الأمَّة مَن تلاعب بكتاب الله، وحرَّف الكلم عن مواضعه بتأويل فاسد كما حدث عند الشيعة وغلاة المتصوفة والفرق كالباطنيَّة، وغيرهم[(١)].

• اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وبلاد المسلمين مُتخَمة بالقبوريِّين الذين اتخذوا قبور الأولياء مساجد وقربات، يُضاف إليها كثير من مشاهد الشيعة وأماكنهم المقدَّسة، والتي هي عبارة عن قبور.

• اليهود استحلُّوا الحرام واعتدَوا في السبت فمُسِخوا بسبب ذلك، وأقوام من

---

(١) من أراد التوسع في هذا الباب فليرجع إلى كتاب: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، ص (٢- ٣)، وكتاب: بين الشعيَّة والسُّنَّة، دراسة مقارنة في التفسير وأصوله، السالوس، ص (١٦٥ وما بعدها) لترى تفاصيل واضحة لكل ضلالات الشيعة والفرق الباطنيَّة وغلاة الصوفيَّة.

الأمَّة الإسلاميَّة استحلَّت كثيرًا من المُحَرَّمات في الماضي والحاضر (كالخمر والحرير والمعازف)، وسيقع المسخُ كما وضَّح النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• والنصارى ابتدعُوا الرهبانيَّة، وكان باعثهم وراء ابتداعها إرادة الخير والفرار بالدِّين وابتغاء رضوان الله، إلا أن الأمر لم يسلم لهم، ووقعوا في الغُلُوِّ والضلالات؛ أي ما رعَوْها حقَّ رعايتها، وَوُجِد في أمَّة محمد مَن ابتدع رهبانيَّة جديدة تحت مُسَمَّى الصوفيَّة، وكان باعثهم الفرار في دين الله، إلا أنهم لم يراعوها حق رعايتها، ووقعوا في ضلالات عديدة؛ كالموالد وصناديق النذور، والذبح للأولياء، وشدِّ الرِّحال، وغير ذلك من الضلالات كما حصل عند النصارى[١].

• قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ لمالك بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ:

« أحذِّرك الأهواء المُضِلَّة، شرُّها الرافضة؛ فإنهم يهود هذه الأمَّة، يُبغِضون الإسلام كما يُبغِض اليهودُ النصرانيَّة، ولم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله؛ ولكن مقتًا لأهل الإسلام وبغيًا عليهم، وقد حرَّقهم عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن سباب، نفاه إلى الجازر ...

**وذلك أن محنة الرافضة تشابه محنة اليهود:**

ـ قالت اليهود: لا يكون الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب.

ـ وقالت اليهود: لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر، وينادي

---

**(١) وللمزيد في ذلك: اقرأ كتاب: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، وكتاب: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم.**

منادٍ من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج المهدي وينزل سبب من السماء.

- واليهود يؤخِّرون صلاة المغرب حتىٰ تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة.
- واليهود لا ترىٰ الطلاق الثلاث شيئًا، وكذا الرافضة.
- واليهود لا ترىٰ علىٰ النساء عدَّة، وكذلك الرافضة.
- واليهود تستحل دم كلِّ مسلم، وكذلك الرافضة.
- واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفت القرآن.
- واليهود تُبغِض جبريل، وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غلط جبريل في الوحي إلىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بترك علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
- واليهود لا تأكل لحم الجزور، وكذلك الرافضة.
- ولليهود والنصارىٰ فضيلة علىٰ الرافضة في خصلتين:

سُئِل اليهود: من خير أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسىٰ، وسُئِلَتِ النصارىٰ، فقالوا: أصحاب عيسىٰ، وسُئِلَتِ الرافضة: من شَرُّ أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد. أمرهم بالاستغفار لهم فشتموهم؛ فالسيف مسلول عليهم إلىٰ يوم القيامة، لا تثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية، ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحورة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم مفرَّق. كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله »[1].

• هذه بعض الأمثلة الدالة علىٰ شموليَّة هذا الحديث، ومصداقيَّة الواقع له، وليت الأمر يقتصر علىٰ ما أصاب بعض الفرق الإسلاميَّة من اتِّباع اليهود

---

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (٢/ ٢٤٩- ٢٥٠).

والنصارىٰ في مناهجهم وطرائقهم، بل الأمر بدأ يشمل الأُمَّة كلها في جميع مناحي الحياة، بالتقليد الأعمىٰ المبنيِّ علىٰ الانبهار بكل ما هو غربي، والذي بدأ يعصف ببيوت المسلمين في كل صغيرة وكبيرة، بحيث أصبحت أسواقنا ومناهجنا التربويَّة وجامعاتنا وأفراحنا وملابسنا، والموضة المتجددة لدينا كلها علىٰ النسق الغربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قارن بين هذا الحال، وما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكثير من أمرائه وجنده الذي كانوا مقيمين في بلاد فارس: «... وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ »(١).

ومن ذلك ما رواه الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ }**(٢).

وانتشار هذه الأمراض (الحسد والبغضاء) نتيجة لازمة لحبِّ الدنيا والتنافس عليها، والعلاج هو الإقبال علىٰ الآخرة، ونشر المحبَّة والأُخوَّة بين المسلمين، وإفشاء السَّلام بينهم.

والحديث يشهد بأن الأمَّة ستتبع الأمم السابقة حتىٰ في الأمراض الروحيَّة المهلكة.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم: ك: اللباس والزينة، ب: تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي الشُّرْبِ وَغَيْرِهِ، ح (٢٠٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب صفة القيامة، ح (٢٥١٠)، وأحمد، ح (١٤١٢)، وحسَّنه الألباني.

# الفصل الثامن

## العلامات الصُّغْرَى غير الصريحة (خمس عشرة علامة)

هي إشارة مستقبليَّة أخبر بها النَّبيُّ صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على أنها تمثِّل تغيُّرًا عما كانت عليه الأمَّة في عهده، وقد أثبتها أكثر علماء السُّنَّة في كتبهم في باب الفتن والملاحم وأشراط السَّاعة، وهي غير صريحة حيث لم ترتبط بصيغ [لا تقوم السَّاعة، أو من أشراط السَّاعة، أو من أماراتها، أو يكون في آخر الزمان].

### ◘ العَلَامَةُ الأولَى: انتشارُ الفِرَقِ الضالَّةِ:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً** }(١)، وفي رواية: قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: { **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي** }(٢).

وفي رواية: { **... ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ...، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ** }(٣).

• هذا الحديث يشهد له حديث تتبع الأمَّة لسَنَنِ اليهود والنصارىٰ؛ أي هو

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: السُّنَّة، ب: شرح السنة، ح (٤٥٩٦)، والترمذي: أبواب الإيمان، ب: ما جاء في افتراق هذه الأمَّة، ح (٢٦٤٠)، وقال عنه: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، ح (٢٦٤١)، وقال حسن غريب.

(٣) أخرجه أبو داود: ك: السُّنَّة، ح (٤٥٩٧)، وقال العدوي: حسن لشواهده (الصحيح المسند: ٦٦).

نتيجة لازمة له، والفُرْقَةُ المقصودة هي كلُّ تفرُّقٍ في أصل الدِّين ثبت بدليل قطعي كفر مُعتقِده، أما الاختلاف في فروع الدِّين أو في الاجتهاد، أو في طريقة العمل للدين مع الاتفا ق على أصوله فلا يدخل ضمن التفرُّق المذموم، وإن كان عدم وجوده أولى؛ لأن الحقَّ واحد لا يتعدَّد.

• فكل أتباع مُدَّعي النبوة أو الألوهيَّة مثل: السبئيَّة والخطابيَّة من الشيعة والبابيَّة والقاديانيَّة، يُضاف إليها كلُّ الفرق الباطنيَّة التي نسفت تعاليم الإسلام رأسًا على عقب. وذلك مثل: القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز، يُضاف إليها الفرق أصحاب معتقد الحلول والاتحاد من الصوفيَّة وأشباههم، يُضاف إليها المذاهب الفكريَّة المعاصرة المخالفة للإسلام والتي انتشرت في بلاد المسلمين: كالعَلمانيَّة (الإلحاد)، والشيوعيَّة وأشباهها، يُضاف لذلك كل فرقة اجتمعت على إباحة ما نصَّ القرآن والسُّنَّة على تحريمه، أو تحريم ما أباحه الله ورسوله، مثل: المعتزلة والرافضة الإماميَّة أو اليزيديَّة، أو من بدع النجاريَّة والجهميَّة والضراريَّة والمجسمة وأشباههم.

## ◘ العَلَامَةُ الثَّانيةُ: غُربَةُ التعالِيمِ الدِّينيَّةِ الحقَّة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا** }[(١)]، وفي رواية: { **إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** }[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَام بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ، ح (١٤٦).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، ب: مَا جَاءَ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، ح (٢٦٢٩) وقال عنه: حسن صحيح غريب عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية: { **إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي** }(١).

• بدأ الإسلام في آحاد وقلة من الناس ثم انتشر، ثم يلحقه النقص وتتغير معالمه عند السواد الأعظم، حتىٰ لا يبقىٰ إلا في آحاده وقلة من الناس (الطائفة الظاهرة علىٰ الحق).

• وهذه الغُربة يشهد لها واقعنا المعاصر بشكل جليٍّ واضح، وهي نتيجة لازمة لغياب معالِم الدِّين، وبسبب انتشار كثير من أفكار الفرق الضالَّة بين الناس، أو نتيجة لتتبُّع السواد الأعظم من الناس لسنن وعادات وتقاليد اليهود والنصارىٰ، فبقي الدِّين كصور ورسوم بين الناس دون حقيقته، (وشتَّان بين مَن يشاهد صورة الأسد وحقيقة الأسد)، أما حقيقة الدِّين فلا تبقَىٰ إلا في القلة القليلة منهم، وهؤلاء يكونون غرباء في فهمهم وتصوُّراتهم وعاداتهم وتوجُّهاتهم ومظهرهم وجوهرهم؛ أي هم قلَّة من أهل سُنَّة النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ظلِّ مجتمعات انتشرت فيها البدع والأهواء والماديَّات.

• وكيف لا يكون المسلم الحقُّ غريبًا بين سواد اتبع عادات الغرب في كل صغيرة وكبيرة؟! وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول الكريم، أو محاربته؟!.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، ب: مَا جَاءَ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، ح (٢٦٣٠) وقال عنه: حسن، عن عمرو بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ». قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»(١).

• والغريب هو مَن يحمل صفات تخالف ما حوله، وصفات الغرباء الذين غبطهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هي التمسُّك بالسُّنَّة إذا رغِب الناس عنها، وتجريد التوحيد لله، ونبذ الشرك وإن أنكر أكثر الناس عليهم، والانتساب إلى الله بالعبوديَّة له وحده، وإلى رسوله باتِّباع ما جاء به وحده، بينما انتسب مَن حولَهم إلى غير ذلك.

ووصف الغربة يُشير إلى قلَّتهم بين الناس، وأهل الله سبحانه وتعالى كذلك، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (٢).

## ◘ العَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: الذَّبْذَبَةُ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** }(٣).

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة (١٨٥)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٥٧٠) وقال عنه الذهبي: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) راجع: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٠٣) وما بعدها، ومسلم بشرح النووي (٢/ ١٧٦) وما بعدها، تحفة الأحوذي (٧/ ٣٨٠) وما بعدها.

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، ح (١١٨).

• وُصِفت هذه الفتن بقطع الليل المظلم للدلالة على حال أهلها، فكما لا يستبين الإنسان الأمور وتختلط عليه الأشياء في الظلام الدَّامس، كذلك لا يستبين الحق من الباطل في ظل إحكام الفتن، وانتشار سحبها على بصيرة القلوب.

• والحديث يُرشد إلى العلاج من هذه الفتن، وهو الإكثار من الأعمال الصالحة التي تكون نورًا لصاحبها في استبانة طريق النجاة، فإن الحسنة لها ضياءٌ في الوجه ونورٌ في القلب، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نورٍ.

• والحديث يُشير إلى شدَّة هذه الفتن وقوة تأثيرها، وفيه إشارة إلى ضعف الإيمان لدى الكثيرين في هذه المرحلة، وقلَّة عملهم بالكتاب والسُّنَّة، لدرجة عدم قدرتهم على الثبات على الإيمان مدة أربع وعشرين ساعة؛ مما يُشير إلى أن هذه الفتن تكون ملازمة للناس صباحهم ومساءهم، (ولعل في الحديث إشارة إلى فتن الإعلام التي يصدق عليها هذا الوصف) فهي الأكثر ملازمة للأفراد، دخلت حتى غرف النوم، وهي الأكثر تأثيرًا على القلوب، والأوسع استخدامًا في إثارة الشبهات والخلافات والشهوات، فكم من صريع لها، وكم من متذبذب بين هذا أو ذاك، وكم من متقلِّب بفكره وهمومه وتوجُّهاته ومعتقداته بسببها.

• وكَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَقُولُ فِي هَذَا الحَدِيثِ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُحَرِّمًا لِدَمِ أَخِيهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ وَيُمْسِي مُسْتَحِلًّا لَهُ، وَيُمْسِي مُحَرِّمًا لِدَمِ أَخِيهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ وَيُصْبِحُ مُسْتَحِلًّا لَهُ»(١).

وهذا الأثر يُشير إلى سبب تذبذب الرجل بين الكفر والإيمان، وهو وقوع

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، ح (٢١٩٨) (تحفة الأحوذي ٦/ ٤٤٢).

المسلم في الشبهات التي يستحل فيها دم المسلم أو ماله أو عرضه، وفي الغالب لا يكون هذا إلا عند اتهام المسلمين بعضهم بعضًا بالكفر، أو تحوُّلهم إلىٰ فرق شتَّىٰ، يستبيح بعضُهم دمَ بعض أو عرضَهم أو مالَهم، وهو ما حذَّر منه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: **{ لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ }**(١).

• وهذا الفهم للحديث يدل علىٰ سوء حال ما كان يراه في زمانه من تفرُّق المسلمين واقتتالهم علىٰ الملك، وما نجم عن ذلك من تكفير أو تفسيق أو تضليل بعضهم بعضًا، وما ترتَّب عليه من استباحة الدماء والأموال والأعراض الحرام.

[وما حدث في أيامنا هذه بعد أن كان الصهاينة هم العدو الاستراتيجي الأول لسوريا، أصبح اليوم يتهم بعضهم بالإرهاب والتكفير ويستبيح القتل والدماء، ويُستخدم العنف في أبشع صوره لأبناء القطر الواحد، وها هي مصر تحذو حذوها، نسأل الله السلامة والأمن من الفتن، وذلك بعد أحداث ما تسمَّىٰ بثورات الربيع العربي].

## ◘ العَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: التمزُّقُ الدَّاخليُّ للأُمَّةِ:

عن سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّىٰ إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا،**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: الإنصات للعلماء، ح (١٢١)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ح (٦٥).

**فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا}**(١)، وفي رواية: **{ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا }**(٢)، والسَّنَة: هي القحط.

• هذه الأحاديث تُشير إلى رحمة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، وقد سأل ربَّه العظيم ألا يهلك أمته بأربعة من عظائم المهلكات، وهي القحط العام الذي يأكل الأخضر واليابس، والغرق، وتسليط العدو الخارجي، وألا تتعرَّض الأمَّة إلى التمزُّق الداخلي من خلال تشيُّعِهم وتحزُّبِهم وتفرُّقِهم، وقد أُجيب له في هذه الدعوات إلا واحدة، وهي إذاقة بعضهم بأس بعض، مما يُشير إلى أن هذه المهلكة جزء من قضاء الله في هذه الأمَّة، ودلائل الحال والتاريخ تشير إلى أن أكثر بلاء الأمَّة كان من التمزُّق الداخلي والتشيع والتحزُّب والتفرُّق وما يترتَّب على ذلك من ويلات وحروب.

• ولقد وقع شيء من ذلك في أواخر عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إلا أنه لم يأخذ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: هلاك هذه الأمَّة بعضهم ببعض، ح (٢٨٩٠).
(٢) المصدر السابق، ح (٢٨٨٩).

منحًى خطيرًا يؤثر علىٰ العقيدة أو السلوك، وذلك لقوة التوجُّه نحو الآخرة، ولسلامة نواياهم، أما بعدَهم فقد بدأ يأخذ الاقتتال مَنحًىٰ دُنيويًّا، وظهرت آثاره علىٰ العقيدة والسلوك والتوجُّهات، واشتدَّ أُوَارُه في الدولة العباسيَّة حتىٰ تحوَّلت إلىٰ عشرات الدُّوَيْلات ضمنَ دار الخلافة، وكل دُوَيْلَةٍ تكيد للأخرىٰ، وما زالت الأمَّة في هذا التمزُّق إلىٰ يومنا هذا.

• وقد يقع جزء من العقوبات الأخرىٰ (كالغرق، والسَّنَة، وتسلُّط العدو الخارجي)، لكن يقع في جزء من الأمَّة، وسرعان ما يزول، ولا تؤدي هذه العقوبة إلىٰ فناء مجموع الأمَّة أو هلاكها بالكليَّة، فقد يقع القَحْطُ في ناحية يسيرة بالنسبة لباقي بلاد الإسلام [(١)].

• ومن تتبَّع أعداد الذين هلكوا في الأمَّة بسبب الاقتتال الداخلي يجدهم الحظ الأوفر بالنسبة لأي عقوبة أخرىٰ، وذلك بسبب توفُّر أسبابها في الأمَّة.

• عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامة، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا** }[(٢)]. **بَيْضَتَهُمْ:**

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم (٩/ ٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: هلاك هذه الأمَّة بعضهم ببعض، ح (٢٨٨٩).

البَيْضة العِزَّة والمُلك.

• يقول النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ الله كَمَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِالْكَنْزَيْنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْمُرَادُ كَنْزَيْ كسرىٰ وقيصر ملكى العراق والشام، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُلْكَ هَذِهِ الْأُمَّة يَكُونُ مُعْظَمُ امْتِدَادِهِ فِي جِهَتَي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهَكَذَا وَقَعَ وَأَمَّا فِي جِهَتَي الْجَنُوبِ وَالشِّمَالِ فَقَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَصَلَوَاتُ الله وسلامُه علىٰ رَسُولِهِ الصَّادِقِ الذي لا يَنْطِقُ عنِ الهَوَىٰ إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَىٰ »(١).

• وفي هذا الحديث بيان أن الأمَّة لا تستباح حقيقة إلا من الداخل، ولو تُرِك العدو الخارجي وحده يكيد للأمَّة فإنه لن يستطيع استباحتها إلا من خلال المعونة الداخليَّة (من الخونة والمنافقين والمُعجَبين بهم المتشبِّهين بأحوالهم)، ولعل أقرب الوقائع هي غزو أفغانستان والعراق، حيث الملاحظ أن العون الداخلي من الأمَّة نفسها هو الذي استباح بيضتها، ولو تُرِك العدو الخارجي وحده في الميدان دون عون من داخل الأمَّة لما وقع له هذه الاستباحة حتىٰ لو جمع كل أهل الأرض.

• وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **لَنْ يَجْمَعَ اللهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّة سَيْفَيْنِ، سَيْفًا مِنْهَا، وَسَيْفًا مِنْ عَدُوِّهَا** }(٢).

فالتسلُّط الخارجي علىٰ الأمَّة يخفِّف من وطأة التسلُّط الداخلي أو يرفعه، بل قد

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٣).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: ارتفاع الفتنة في الملاحم، ح (٤٣٠١)، وأحمد، ح (٢٣٩٨٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، ح (٥٢٢١).

يكون سببًا في اجتماع الأمَّة ووحدتها في مواجهة العدو الخارجي.

• يقول المباركفوري: « مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّة وَرَحْمَةِ الله تَعَالَىٰ لَهَا أَنْ لَا يَجْتَمِعَ قِتَالُ كُفَّارٍ وَمُسْلِمِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بَلْ إِمَّا كُفَّارٍ وَإِمَّا مُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانُوا فِي وَقْتٍ فِي قِتَالِ مُسْلِمِينَ وَوَقَعَ قِتَالُ كُفَّارٍ رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْقِتَالِ وَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ قِتَالِ الْكُفَّارِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهَّ هِيَ الْعُلْيَا »(١).

## ◘ العَلَامَةُ الخَامِسَةُ: تَهافُتُ الأُمَمِ وتكالُبُها على أمَّةِ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

• عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** }، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: {**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُّ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ** }، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: { **حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** }(٢).

تَداعَىٰ: أصلها تتداعَىٰ، وأُدغمَت التاءان في واحدة، وهي إمَّا من التَّداعي، وهو التساقط من عَلٍ، أو من الدعوة؛ أي يدعو بعضُهم بعضًا للهجوم علىٰ أمَّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**القَصْعَة**: هي الإناء الصغير الذي يوضَع فيه الطعام.

**غُثَاءِ السَّيْلِ**: الزَّبَدُ الذي يَعلُو الماءَ عند السُّيُولِ، و**الْوَهْنَ**: الضعف.

---

(١) عون المعبود (١١/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الفتن والملاحم، ح (٤٢٧٦)، وأحمد، قال العدوي: حسن [الصحيح المسند ٣٨١]، وانظر كتاب: طلب الهمة في علاج مرض الأمَّة [الفرقة والاختلاف، البأس بينهم، الغثائيَّة والوهن] تأليف: أسامة بدوي.

• وفي الحديث إشارة إلى تسلُّط السيف الخارجي على الأمَّة بعدما أنهك السيف الداخلي قوتها، وهذا لم يقع إلا بعد سبعة قرون من البعثة، وذلك بهجمة التتار ثم الحروب الصليبيَّة، ثم حلقات الاستعمار الغربي، وفي عصرنا بدأت صورة تكالب الأمم على أمَّة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكتمل بأبشع أشكالها.

• وحال الأمَّة آخر الزمان أنها كثيرة العدد، إلا أنها مطمعٌ للأمم الأخرى بسبب هوانها وضعفها، مما يُشير إلى أن أكثر أفراد الأمَّة تتغيَّر في قلوبهم معالم الرسالة التي كانت عند الرَّعيل الأول، والذي كان من أهم أوصافهم كما يتبيَّن من رسالة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أحد ملوك الفرس حيث قال: « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى: مَرَازِبَةِ أَهْلِ فَارِسَ. السَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى... فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ بِالْحَمْدِ الَّذِي فَصَلَ حِرَمَكُمْ وَفَرَّقَ جَمَاعَتَكُمْ وَوَهَنَ بَأْسَكُمْ وَسَلَبَ مُلْكَكُمْ. فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ وَأَدُّوا إِلَيَّ الْجِزْيَةَ وَابْعَثُوا إِلَيَّ بِالرُّهُنِ. وَإِلا: فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لأَلْقَاكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَحُبِّكُمُ الْحَيَاةَ. سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى »(١).

• والأممُ تتهافَت على أمَّة الإسلام طمعًا فيها، أو خوفًا من رسالة الحق التي خَبَا نورُها بين أفراد الأمَّة، والتي طالما أزعجت مشركي الماضي.

• قال القاري عند تفسيره لإسناد كلمة الأكَلَة للقَصْعَة: « الضَّمِيرُ لِلْأَكَلَةِ؛ أَيِ الَّتِي يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا بِلَا مَانِعَ وَلَا مُنَازِعَ فَيَأْكُلُونَهَا عَفْوًا وَصَفْوًا كَذَلِكَ يَأْخُذُونَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ بِلَا تَعَبٍ يَنَالُهُمْ أَوْ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ أَوْ بأس يمنعهم »(٢).

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٤٦)، انظر مجمع الزوائد (٦/ ٢٢٠).
(٢) عون المعبود (١١/ ٤٠٤).

## ◘ العَلَامَةُ السادسةُ: مَعاصٍ وعُقوباتٌ:

عَنْ عَبدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: { يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ }(١).

قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[آل عمران].

• هذا الحديث يحذِّرنا من انتشار الزنا في المجتمع، ويقِلُّ الإنكار عليه مما لا يؤثر في انتشاره، والعقوبة الأوجاع والطاعون والأمراض، ولقد رأينا في القرن الحالي والمنصرم أمراضًا خطيرة كالإيدز الذي يضرب جهاز المناعة لدىٰ الإنسان؛ أي يضرب نعمة من أعظم نعم الله علىٰ جسد الإنسان، وهذا يتناسب مع جريمة الزنا الذي تضرب مناعة المجتمع، وتهتك متانته، وتُفسِد أواصره، والجزاء من جنس العمل. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت].

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ك: الفتن، ب: العقوبات، ح (٤٠١٩)، وحسَّنه الألباني، وله شاهد عند الحاكم، ح (٨٥٣٦) وقال حديث صحيح.

• كما يحذِّرنا من جريمة التطفيف في المكيال، ولقد وقع فيها قوم شعيب فاستحقوا عذاب الله، وهذه الجريمة تتمثَّل بأكل مال الغير بالباطل دون شعوره بذلك، وهذا هو عين الظلم والاستغلال، فاستحق أصحابها عقوبات تتناسب وطبيعة الجريمة، منها: القحط وقلة الأمطار المُمْحِقة للخير على الأرض، وشدَّة المئونة، وتشمل غلاء الأسعار، وكثرة الضرائب التي تأكل الأخضر واليابس، وكثرة تكاليف النقل وتعسُّرها على أهلها، وجَور السلطان وظُلمه للرعيَّة، وأخذ أموالهم أو مصادرتها دون أدنى حقٍّ، والتشديد عليهم بالضرائب والجمارك، وهذا يتناسب وطبيعة مَعصيتهم.

• كما يحذِّرنا الحديث من خطورة منع الزكاة، وسبب المنع غالبًا ما يكون هو الطَّمع والشُّحّ والبخل، وما دام الإنسان يمنع الحق عن إخوته طمعًا، إذًا فسيعاقب بمنع فضل الله سبحانه وتعالى عليه، وكفران النعمة سبب لزوالها، فكانت العقوبة بمنع القطر من السماء، ولولا وفور رحمة الله بخلقه ممن يعايش هؤلاء الجاحدين كالبهائم لم يُمطَروا، فنزول المطر عليهم رحمةٌ ببهائمهم.

• كما يُحذِّرنا الحديث من خطورة نقض عهد الله ورسوله إلينا؛ وذلك بالتوحيد وعدم الشرك، والسمع والطاعة مما يُبقي الأمَّة في دائرة الرسالة والعبوديَّة، فإذا نقضت الأمَّة هذه المواثيق أصابتها اللعنة وقسوة القلب والخسران في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥** ﴾ [الرعد].

وأمَّة أصابتها اللَّعْنَةُ لا تستحق حِفظًا ولا تكريمًا من الله ﷻ، بل تصبح نُهْبَةً

للأمم الأخرىٰ، وغرضًا لسهامهم، وهدفًا لمطامعهم، لذا تسلَّط عليها الأمم لتنال من خيرها وخيراتها.

• كما يُحذِّرنا الحديث من خطورة عدم الحكم بما أنزل الله، وهذه الجريمة تمثِّل الطَّامَّة الكُبْرَىٰ بالنسبة للأمَّة، وتُخرِجها من دائرة العبوديَّة لله سبحانه وتعالىٰ في جميع شئون حياتها (إلىٰ دائرة حكم الجاهليَّة)؛ بل تُخرج الأمَّة من دائرة الرسالة بأكملها، وأي بقاء لرسالة سماويَّة ما دامت تعاليمها قد استُبدِلت ولم تُحتَرَم؟! بل ويُقَدَّم عليها زُبالات الفكر البشري القاصر، ويترتَّب علىٰ هذا الأمر الشَّرْذَمَةُ والتشيُّع والتفرُّق المُفضي للحقد والكراهيَّة المؤدِّية للاقتتال الداخلي، فخروج الأمَّة من دائرة الحاكميَّة لله إلىٰ دائرة الحاكميَّة للأهواء والمصالح ليس له إلا مُحصِّلة واحدة، وهي اشتعال النار الداخليَّة بين أفراد الأمَّة، ويصبح بأسهم بينهم شديدًا.

[ ولقد جمع الله تعالىٰ بين الكفر والظلم والفسق والجاهليَّة والنفاق وادِّعاء الإيمان لمن لم يحكم بما أنزل الله، أو أعرض عن حكم الله تعالىٰ، هذا بجانب نزع البركة وقلة المطر، وعدم التوفيق وتحقيق سنة الاستبدال ].

## ◘ العَلَامَةُ السَّابعةُ: الوُلوغُ في المالِ الحرامِ وعدمُ تَحرِّي الحلالِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ** }(١).

• هذا الحديث يُشير إلىٰ تغيُّر نفسيَّات الناس التي كانت تَتُوقُ للحلال، وتَتَّقي

---

(١) أخرجه البخاري: ك: البيوع، ب: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ** ..﴾ ح (٢٠٨٣).

الحرام في الرعيل الأول، إلىٰ نفسيَّات مريضة همُّها جمع المال دون النظر إلىٰ الناحية الشرعيَّة لهذا الكسب، مما يُشير إلىٰ ضعف الوازع الدِّيني أمام شهوة جمع المال، ويَحِلُّ بدلًا منه الفهلوة والشطارة في التكسُّب بعيدًا عن أي اعتبارات دينيَّة أو خلقيَّة.

• ومن ينظر علىٰ سبيل المثال: تلك الشبكة العنكبوتيَّة الربويَّة في جميع أنحاء العالم الإسلامي تدور من خلالها عجلة الاقتصاد في بلاد المسلمين، ونرىٰ لهذه الشبكة رواجًا مما يشير إلىٰ سعة التعامل معها.

وقِسْ علىٰ ذلك باقي الأمور من رِشوة أو قِمار، أو غِشٍّ وخداع وحلف كاذب في التجارة، أو متاجرة في المُحَرَّمات.

فالكثير إلا ما رحم ربي إما وقعوا في الربا، أو نالهم غباره.

والحديث يدل علىٰ حصول الأمر من عدم المبالاة عند أغلب الناس في توخي الحلال في كسبهم.

• وهذه العلامة في ازدياد، لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ** }(١).

## ◘ العَلَامَةُ الثامِنَةُ: الطَّمَعُ والأَثَرَةُ:

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر].

**الإيثار**: هو تقديم الغير علىٰ النفس في حُظوظ الدنيا، وعكسه الأَثَرَة (الأنانيَّة)

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: من الدين الفرار من الفتن، ح (١٩).

وهي تقديم النفس على الغير، والطمعُ في نيل الحقوق.

• عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَنْصَارَ لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ وَاللهِ حَتَّى تَكْتُبَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: **{ ذَاكَ لَهُمْ مَا شَاءَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ }**، يَقُولُونَ لَهُ، قَالَ: **{ فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ }**(١).

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا }** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: **{ تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ }**(٢).

• وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدَعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **{ مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ}**. قَالَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُ الأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المساقاة، ب: كتابة القطائع، ح (٢٣٧٧).
(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦٠٣).

**{ إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَوَاللهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ }**، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: **{إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَى الحَوْضِ }** قَالَ أَنَسٌ فَلَمْ نَصْبِرْ »(١).

• فالآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة تدل على ما كان عليه الرَّعيلُ الأول من تنافس على الآخرة، وحُبٍّ لبعضهم، وتقديم المسلم أخاه على نفسه في حُظوظ الدنيا، نفسيَّة رائعة تميَّزوا بها وخاصَّة الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

• وتُشير الأحاديث إلى فساد حال المسلمين، وتنافسِهم على الدنيا، وقد وقع ما أخبر به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وهذه العلامة لا يُستهان بها، فالمعلوم أن شرارة الفتنة الأولى بين المسلمين كان سببها ما أُثير من أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخصُّ قرابته من دون الناس، على الرغم أنه لم يخرج عن طور العدل، ولم يترتَّب عليه منع حقوق الناس والجور في حقهم، إلا أن وقوع شُبهة الأَثَرَةِ كانت سببًا في اشتعال الفتنة.

• وواقع الأمَّة المعاصر يَشهد بأن الأثرة هَيمنَت على مصالح الناس، وتركَّزت في يد فئة قليلة، وينال باقي الأمَّة الحرمان.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: فرض الخمس، ب: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ، ح (٣١٤٧)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: إِعْطَاءِ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، ح (١٠٥٩).

• وأخبرنا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بموقف المسلم من هذا الواقع المنحرف: بأن يؤدي الحقوق المطلوبة منه، ويسأل الله الذي له، ولا يقابل الأَثَرَةَ بالأَثَرَةِ، وأن يصبر حتى يلقى رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الحوض، فينال المسلم الثواب يوم القيامة على الأمر الرباني، وعدم إثارته للفتن سعيًا وراء حظوظ الدنيا، وينال أصحاب الأَثَرَةِ ما حُمِّلُوا من أوزار منع الناس حقوقَهم وظلمِهم للعباد، وهو اختيار أهون الشَّرَّيْنِ.

## •• فصل: في فضيلة الإيثار

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف:٩١]، أي: لقد فضَّلك الله علينا، واختارك بالعلم والحِلم، والحُكم والعقل، والملك.

**الْإِيثَارُ**: هُوَ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُظُوظِهَا الدنيوية، وَرَغْبَةٌ فِي الْحُظُوظِ الدِّينِيَّةِ. وَذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ، وَتَوْكِيدِ الْمَحَبَّةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ. يُقَالُ: آثَرْتُهُ بِكَذَا، أَيْ خَصَّصْتُهُ بِهِ (١).

والفرق بينه وبين الجود، أن **الإيثار**: أن يُؤثِر الإنسانُ غيرَه بالشيء مع حاجته إليه، بخلاف **الجُود**: فهو أن يُعطي الإنسانُ غيرَه كثيرًا مما يملك، ويُبقِي لنفسه شيئًا قليلًا، أو يُبقِي مثلَ ما أعطَى.

• سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨).

رَسُولَ الله، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللهُ؟** }، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَالله مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: { **لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ** } **فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:** ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[(١)].

• يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « **الإِيثَارُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:**

**الدَّرَجَةُ الْأُولَى:** أَنْ تُؤْثِرَ الْخَلْقَ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِيمَا لَا يُحَرِّمُ عَلَيْكَ دِينًا. وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْكَ طَرِيقًا، وَلَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ وَقْتًا.

**الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:** إِيثَارُ رِضَا الله عَلَىٰ رِضَا غَيْرِهِ. وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمِحَنُ. وَثَقُلَتْ فِيهِ الْمُؤَنُ، وَضَعُفَ عَنْهُ الطَّوْلُ وَالْبَدَنُ.

**الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ:** إِيثَارُ إِيثَارِ الله... أي: أَنْ تَنْسِبَ إِيثَارَكَ إِلَىٰ الله دُونَ نَفْسِكَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْإِيثَارِ، لَا أَنْتَ. فَكَأَنَّكَ سَلَّمْتَ الْإِيثَارَ إِلَيْهِ. فَإِذَا آثَرْتَ غَيْرَكَ بِشَيْءٍ فَإِنَّ الَّذِي آثَرَهُ هُوَ الْحَقُّ، لَا أَنْتَ. فَهُوَ الْمُؤْثِرُ حَقِيقَةً؛ إِذْ هُوَ الْمُعْطِي حَقِيقَةً »[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، ح (٤٨٨٩).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٩- ٣١٥) بتصرف.

**•• فوائد الإيثار:**

**١ـ** الإيثار دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

**٢ـ** الإيثار طريق مُوصِل إلى البرِّ والفلاح ومحبة الله ورضوانه.

**٣ـ** الإيثار سبيل الألفة والمودَّة بين المسلمين.

**٤ـ** الإيثار دليل سخاء النفس البشريَّة وكرمها، وأفضل درجات مكارم الأخلاق.

**٥ـ** الإيثار دليل على مَقت الشحِّ والبخل، فلا خلاص منهما إلا به.

**٦ـ** الإيثار مَظهر من مظاهر حسن الظن بالله تعالى.

**٧ـ** الإيثار دليل على عُلُوِّ الهمَّة والبُعد عن صفة الأنانيَّة.

**٨ـ** الإيثار يجلِب البركة، ويُنَمِّي الخير.

**٩ـ** الإيثار من علامات حُسن الخاتمة للعبد المسلم.

**١٠ـ** الإيثار من علامات الرحمة التي تضمن لصاحبها بفضل الله تعالى الجنة وتُعتِقه من النار(١).

**•• صور ونماذج من الإيثار:**

**ـ إيثار نبيِّنا محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ، (شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا

---

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم (٣/ ٦٤٠).

رَسُولَ الله، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: {نعَمْ}، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا »(١).

## - إيثارُ أصحابِه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

### • الصِّدِّيقُ أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ** }، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: «هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ الله؟» (٢).

### • أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَان رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ **لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران:٩٢] **قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:** ﴿ **لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسولُ الله

(١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ح (٦٠٣٦).
(٢) أخرجه أحمد، ح (٧٤٤٦)، وابن ماجه، ب: فضل أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ح (٩٤)، وصحَّحه الألباني.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ بَخ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ }**، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ »(١).

## • سعدُ بنُ الرَّبيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإيثارٌ نادرُ الوجودِ:

عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ المَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ »(٢).

أرأيتم في التاريخ إيثارًا مثل ذلك ؟! وعفَّة وقناعة، وغِنَى نفسٍ، وحُبًّا في الله أعظم من هذا ؟!.

## • إيثارُ الأشعَرِيّينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ }**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الزكاة، ب، الزكاة على الأقارب، ح (١٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: مناقب الأنصار، ب: إخاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، ح (٣٧٨١)، وفي السنن الكبرى للنسائي: { بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ }، ح (٩٩٤٢).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الشركة، ب: الشركة في الطعام والنِّهد والعروض، ح (٢٤٨٦).

• **أمُّ المؤمنين عائشةُ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: « رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، اذْهَبْ إِلَىٰ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ، ثُمَّ سَلْهَا، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي »(١).

وعَنْ مَالِكٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا، وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: «أَعْطِيهِ إِيَّاهُ»، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «أَعْطِيهِ إِيَّاهُ»، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَىٰ لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدِي لَنَا شَاةً وَكَفَنَهَا، فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: « كُلِي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ »(٢).

## ◘ العَلَامَةُ التاسِعةُ: بُيُوتُ الشَّياطينِ والأُسْطُوان:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل].

• وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **تَكُونُ إِبِلٌ لِلشَّيَاطِينِ، وَبُيُوتٌ لِلشَّيَاطِينِ، فَأَمَّا إِبِلُ الشَّيَاطِينِ فَقَدْ رَأَيْتُهَا يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ بِجُنَيْبَاتٍ مَعَهُ قَدْ أَسْمَنَهَا فَلَا يَعْلُو بَعِيرًا مِنْهَا، وَيَمُرُّ بِأَخِيهِ قَدِ انْقَطَعَ بِهِ فَلَا يَحْمِلُهُ، وَأَمَّا بُيُوتُ الشَّيَاطِينِ فَلَمْ أَرَهَا** }، كَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ: «لَا أُرَاهَا إِلَّا هَذِهِ الأَقْفَاصُ الَّتِي يَسْتُرُ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: ماجاء في قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر وعمر، ح (١٣٩٢).
(٢) أخرجه مالك في الموطأ، ك: الصدقة، ح (٥).

النَّاسُ بِالدِّيبَاجِ»(١).

**جُنَيْبَاتٍ:** جمع جُنَيِّبَةٍ، وهي الدابَّة التي تُقاد، أي ليس عليها راكب، إلا هذه الأقفاص، أي المحامل والهوادج التي يتخذها المترفون في سفرهم.

**كان سعيد:** هو ابن أبي هند، التابعيُّ الراوي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

• في هذا الحديث إشارة إلى **إبل الشياطين، وبيوت الشياطين،** والمراد **بإبل الشياطين** هي الإبل المعدَّة للتكاثر والتفاخر ولم يُقصَد بها أمر مشروع، يسير صاحبها بها مجتمعة لا يعلو واحدًا منها، فإذا مرَّ على أخيه المسلم الذي كَلَّ عن السير وانقطع به الطريق فلا يحمله معه في طريقه.

• أما **بيوت الشياطين** فقد قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه لم يرها، فهي أمر جديد سيجِدُّ على الأمَّة، وسياق الحديث يُبرِز أنها ركوبة تشبه البيت يمرُّ بها صاحبها على أخيه المنقطع فلا يحمله عليها.

ويرى البعض - والله أعلم- أن هذا يصدق على ما نعهده في عصرنا من وسائل النقل الحديثة (السيارة والشاحنة وغيرها).

ويرى آخرون حملها على تلك البيوت والقصور التي يبنيها المُترفون دون حاجة إليها كثيرًا تكثُّرًا وتفاخُرًا، وحوله الكثيرون بلا مأوى وهي كثيرة في عصرنا.

لكن سياق الحديث يتحدث عن وسائل نقل يراد بها التفاخر.

• وَعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الجهاد، ب: في الجنائب، ح (٢٥٦٨)، وقال عنه العدوي: صحيح (الصحيح المسند ٤٠٥).

{ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ، كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ، كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ }(١).

وسياق الحديث يقرِّر أن هؤلاء يركبون السُّروج ويتركونها على أبواب المساجد، وأن نساءهم كاسيات عاريات مما يدل على التلازم بين ظهور السروج المركوبة وتبرج النساء، وهذا الوصف يمثل حقبة زمانيَّة من علامات هذا العصر.

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا }(٢).

**الْأُسْطُوَانِ**: الأسطوانة هي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته(٣).

قد يكون - والله أعلم - في الحديث إشارة إلى النفط (البترول) فلفظ تقيء تشير إلى أن هذه الكنوز سائلة وليست صلبة، وهي أهم ما في الأرض من خيرات في باطنها (أفلاذ كبدها)، وأمثال الأسطوان كأنه إشارة إلى تلك الأعمدة التي توضع في باطن الأرض لاستخراج النفط من الأرض.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٧٠٨٣)، قال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة م٦، ح (٢٦٨٣).
(٢) أخرجه مسلم في الزكاة، ب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح (١٠١٣).
(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢٠٨).

ومن نظر إلى دقَّة هذا الوصف وجماله في التعبير لعلم أنه لا يمكن أن يصدر إلا عمن لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## ▫ العَلَامَةُ العاشِرَةُ: انتقاضُ عُرَى الإسلامِ:

عَنْ أَبِي أُمَامة الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ** }(١).

المراد **بعُرَى الإسلام** تلك الأصول الهامَّة لدين الإسلام والتي بها تُعرَف معالمُه، وبها تؤتي الرسالة ثمرتَها في الأرض، وبها يتحقَّق فلاح الأمَّة والأفراد في الدنيا والآخرة، وهي بمجموعها إذا تشبثت بها الأمَّة عَصَمَت نفسَها وأفلحت، وتذهب هذه العُرَى تدريجيًّا.

ومن العُرَى التي ذكرها الحديث: الصلاة والحُكم، وفي أحاديث أخرى بيَّنت أن من عُرَى الإسلام: الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد. والحبّ في الله، والبغض في الله أوسط وأوثق هذه العُرَى.

• والحبُّ في الله والبغض في الله أعظمها أثرًا، وهي العُرْوَةُ التي تمثِّل هرم العُرَى، وستذهب هذه العُروة من الأمَّة، ولعلَّ تفاعل الفتن وتقلُّبات المِحن وما يرافقها من علامات السَّاعة كفيلة بنقض العُروة الأهم من الأمَّة.

• وأول نقضٍ ظهر في الأمَّة كان في تحوُّل الحُكم من نظام الخلافة الراشدة إلى

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٢٦٠)، والحاكم في المستدرك، ح (٧٠٢٢)، وقال: وَالْإِسْنَادُ كُلُّهُ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/ ٢٨١).

نظام المُلك العَضوض، وكان لهذا التغيير أثره الكبير على الأمَّة.

وآخر العُرَىٰ انتقاضًا الصلاة، فإذا ذهبت من الأمَّة لم يبق للأمَّة وجود ولا للرسالة مَعنًىٰ في الأرض، وأول ما يُرفَع من الصلاة الخشوعُ، حتىٰ تكاد تدخل المسجد وليس فيهم رجل خاشع.

ولو كانت الصلاة علىٰ أتم وجه لكانت كفيلة لوحدها بِلَمِّ شمل الأمَّة علىٰ العُرَىٰ الأخرىٰ، لكن ما تبقىٰ منها هو صورة الصلاة، بينما روحها تبهَت تدريجيًّا من قلوب الناس.

ولقد أصبحت الصلاة عند بعض الناس عِبئًا ثقيلًا لطول الأمل، والتوغُّل في الدنيا، والتنافس فيها، وحبُّ الشهوات.

• وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، وَلَيُصَلِّيَنَّ النِّسَاءُ وَهُنَّ حُيَّضٌ، وَلَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَحَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، لَا تُخْطِئُونَ طَرِيقَهُمْ، وَلَا يُخْطِأَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَبْقَىٰ فِرْقَتَانِ مِنْ فِرَقٍ كَثِيرَةٍ فَتَقُولُ إِحْدَاهُمَا: مَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، لَقَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِنَّمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ** ﴾ [هود: ١١٤]. لَا تُصَلُّوا إِلَّا ثَلَاثًا، وَتَقُولُ الْأُخْرَىٰ: إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ كَإِيمَانِ الْمَلَائِكَةِ مَا فِينَا كَافِرٌ وَلَا مُنَافِقٌ، حَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يَحْشُرَهُمَا مَعَ الدَّجَّالِ »(١).

[ وسبحان الله فقد خرجت الفرقتان في هذا الزمان، الأولىٰ: طائفة القرآنيِّين

---

(١) أخرجه الحاكم عن حذيفة، ح (٨٤٤٨)، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي (٤/ ٥١٦).

الذين يُنكِرون السُّنَّة، ويقولون إن الصلاة ثلاث فرائض وليست خمسًا، ولقد قابلتُ أحدهم، وقد أنشأ مركزًا لذلك بالقاهرة بمصر الجديدة، وهو دكتور وابن عالم مشهور كان رئيسًا للجمعيَّة الشرعيَّة، والفرقة الثانية: التي ترىٰ أن مجرد الإيمان بالله دون عمل كفيل بإدخالهم الجنة، وأشهرهم الأشاعرة في هذا الزمان وهي أوسعهم انتشارًا، ولهم سلطان ديني، وجاهٌ، وأحاديث بإذاعة القرآن الكريم مشهورة كان آخرها في شهر رمضان عام ١٤٣٦هـ ].

• عن ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { **إِنَّهُ سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مِيقَاتِهَا، وَيَخْنُقُونَهَا إِلَى شَرَقِ الْمَوْتَى، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِمِيقَاتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً** }(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « الْحَثُّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ أَوَّلَ الْوَقْتِ، وَفِيهِ أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا أَخَّرَهَا عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يُصَلِّيَهَا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ مُنْفَرِدًا ثُمَّ يُصَلِّيهَا مَعَ الْإِمَامِ، فَيَجْمَعُ فَضِيلَتَيْ أَوَّلِ الْوَقْتِ وَالْجَمَاعَةِ، .. وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ مُوَافَقَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِئَلَّا تَتَفَرَّقَ الْكَلِمَةُ وَتَقَعَ الْفِتْنَةُ، .. وَفِيهِ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا مَرَّتَيْنِ تَكُونُ الْأُولَىٰ فَرِيضَةً وَالثَّانِيَةُ نَفْلًا »(٢).

## ◘ العلامةُ الحاديةَ عشرةَ: الاعتداءُ في الطّهورِ والدُّعاءِ:

عَنْ عَبدِ الله بْنِ مُغَفَّلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: الندب إلى وضع الأيدي على الركب، ح (٥٣٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٤٨).

سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّة قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ** }(١).

ومن أشكال الاعتداء في الدعاء: التكلُّفُ فيه بسجع ونحوه، أو تحويله إلى ترنيمة أقرب للغناء منها للطلب والتضرُّع لله، ومنها دعاء الإثم الذي فيه ظلم للعباد أو قطيعة رحم.

والاعتداء في الطهور إنما يكون بالإسراف في الماء، أو المبالغة في الغُسل إلى حدِّ الوسواس، أو تجاوز الحدِّ المسنون كمن يَزيد على الثلاث غَسَلات .. وإلخ.

## ◘ العَلَامَةُ الثانيةَ عَشرةَ: إمْرَةُ السُّفَهاءِ:

عن عَبْسٍ الْغِفَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: { **بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا** }(٢).

### ●● أشراط قاتلة:

تضمَّن هذا الحديث ستَّةً من العظائم التي إن أصابت الأمَّة، أصبح باطن الأرض أفضل من ظاهرها.

١- **إمْرَةُ السُّفَهاءِ:** وهم أصحاب الطَّيْشِ وخِفَّة العقول، يرتكبون الفظائع

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الطهارة، ب: الإسراف في الماء، ح (٩٦)، وابن حبان في صحيحه، ح (٦٧٦٣)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، والمستدرك للحاكم، ح (٥٧٩).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٦٠٤٦)، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط الكبير، وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٥) وذكره الألباني في الصحيحة ح (٩٧٩).

[ويستبيحون الدماء، ويوالون الأعداء، ويعادون الأولياء وأهل الصلاح والاستقامة].

**٢- كَثْرَةُ الشُّرَطِ:** وهم أعوانُ السلطان وجندُه، وكثرتُهم علامةٌ على ظلم السلطان، وكلما زاد ظلمه زادت حاجته إلى تكثير الشرطة حوله، وقد يكون من أسباب كثرة الشُّرَطِ فساد الناس وكثرة مشاكلهم واختلاف نفوسهم، مبدأهم أخذ الناس بحق القوة لا بقوة الحق.

**٣- بَيْعُ الحُكْمِ:** ولذلك عدة معانٍ، منها فساد القضاة، وقبولهم الرشوة في أحكامهم، وبيع المناصب بالرشوة لا بالكفاءة، وشراء الذِّممِ.. وكل هذه المعاني واقعة في الأمَّة.

**٤- الاستِخفافُ بالدَّم:** المراد بها استهانة المسلم بدم أخيه المسلم، وقد يكون سببه الانسعار الدنيوي، والجهل بخطورة القتل، والفُرقة المعزِّزة للبغضاء والشحناء، والتأويل الفاسد الذي تُستباح به الدماء، سواء من الفرق والأحزاب أو الحكام، والثقافة الداخليَّة في الإعلام، والتي يظهر فيها مشاهد العنف يرافقها تعظيم مرتكبيها، وسهولة نجاتهم من المحاسبة، ونعتهم بالبطولة، وتعطيل حدِّ القصاص(١).

**٥- قَطيعةُ الرَّحِمِ:** قد سبق الحديث عنها، وأنها علامة على الفساد في الأرض.

**٦- نَشْءٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ:** دون الانتباه إلى معانيه ودلالاته، ويقدم الأجمل صوتًا على الأكثر علمًا وفقها وحفظًا؛ لأن المقام يصبح مقام تَغَنٍّ لا مقام تدبُّر، ويطلب بالقرآن الدنيا دون الآخرة، يهتمون بالأحكام والمخارج وحدَها، ويُهمِلون

(١) انظر كتاب: «اعلم أن الله أقدر عليك»، للشيخ محمد بدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

العبرة والتدبُّر والعمل، حتى يكون القرآن حُجَّة عليهم لا حُجَّة لهم، ويصبح القرآن مطيَّة لنيل المآرب الدنيويَّة، يَقرأ ليُقال قارئٌ، ونسأل الله السلامة والهداية.

## ◘ العَلَامَةُ الثالثةَ عَشرةَ: تسلُّطُ أعوانِ السَّلاطينِ على الناسِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** ﴾[١].

• يقول النوويُّ: « هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبوَّةِ فَقَدْ وَقَعَ هَذَانِ الصِّنْفَانِ وَهُمَا مَوْجُودَانِ وَفِيهِ ذَمُّ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ »[٢].

وعنه أيضًا: قالَ رَسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ **يُوشِكُ، إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ، أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ الله، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ الله** ﴾[٣].

وعنه أيضًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ لَنَا رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ **يُقَالُ لِرِجَالٍ يَوْمَ القيامة اطْرَحُوا سِيَاطَكُمْ وَادْخُلُوا جَهَنَّمَ** ﴾[٤].

• هذه العلامة فيها ذمُّ أعوان السلاطين من شُرطة ونحوها ممن يتسلَّطون على

---

(١) أخرجه مسلم: ك: اللباس والزينة، ب: النساء الكاسيات، ح (٢١٢٨).
(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٢٦).
(٣) أخرجه مسلم: ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون، ح (٢٨٥٧).
(٤) أخرجه الحاكم: ك: الفتن، ح (٨٥٧٧) وقال: حديث صحيح الإسناد.

الناس يضربونهم بالسياط ونحوها من غير حدٍّ من حدود الله، وفي الحديث إشارة إلى أنهم بفعلهم هذا من أهل النار، ودلالة السياق تشير إلى أنهم لا يؤذن لهم لفصل الخطاب؛ بل يؤمر بهم للنار مباشرة؛ وذلك لشناعة فعلتهم.

وهذه العلامة أخذت شكلًا واضحًا في العصر العباسي وما بعده إلى يومنا هذا، ولم يرَها أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى سنة ٦٠هـ.

## ◘ العَلَامَةُ الرَّابعةَ عَشْرةَ: شدَّةُ البلاءِ، وحُصولُ اليأسِ، وتَغَيُّرُ الزَّمانِ وتَحَوُّلُه للأَسْوأِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ** }(١).

• الحديث يُشير إلى قوة البلاء الذي سيصيب الناس في أمور دنياهم، وكثرة المصائب التي تقع على الناس مع خِفَّةِ دينهم؛ لذا يتمَنَّوْن الموت، ويَغبطون أهل القبور.

• يقول ابن حجر: « يَقَعُ الْبَلَاءُ وَالشِّدَّةُ حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ أَهْوَنَ عَلَى الْمَرْءِ فَيَتَمَنَّى أَهْوَنَ الْمُصِيبَتَيْنِ فِي اعْتِقَادِهِ »(٢).

• وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: قوله {لا تقوم السَّاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..} ح (١٥٧).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٥).

تَلْقَوْا رَبَّكُمْ. سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

• وَأَخْرَجَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ:

« لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعة، لَسْتُ أَعْنِي رَخَاءً مِنَ الْعَيْشِ يُصِيبُهُ وَلَا مَالًا يُفِيدُهُ، وَلَكِن لَا يَأْتِي عَلَيْكُم يَوْم إلا وَهُوَ أَقَلُّ عِلْمًا مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى قَبْلَهُ، فَإِذَا ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ اسْتَوَى النَّاسُ، فَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهْلَكُونَ »...

وَمِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ ابْنِ مسعودٍ قَالَ: « لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَهُوَ أَشَرُّ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ، أَمَا إِنِّي لَا أَعْنِي أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ، وَلَا عَامًا خَيْرًا مِنْ عَامٍ؛ وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا، وَيَجِيءُ قَوْمٌ يُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ ».

وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: « وَمَا ذَاكَ بِكَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا وَلَكِنْ بِذَهَابِ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ يُحْدِثُ قَوْمٌ يُفْتُونَ فِي الْأُمُورِ بِرَأْيِهِمْ فَيَثْلِمُونَ الْإِسْلَامَ وَيَهْدِمُونَهُ » (٢).

ولسان حال الكثيرين يُشير إلى شعورهم الذي من خلاله يترحَّمون على الماضي، ويشعرون بسوء حال الحاضر، ويتخوَّفون أكثر من المستقبل.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: لا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، ح (٧٠٦٨).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٢١).

## ◘ العَلَامَةُ الخامِسَةَ عَشرةَ: أيامُ الصَّبرِ، وغلبَةُ الظُّلمِ والفُجورِ في الأرضِ، والتشوُّفُ لرؤيةِ النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]؟ قَالَ: أَمَا وَالله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: **{ بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ }**، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **{ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ }**(١).

يقول العلامة القارئ: « الظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَمَا لَا يُمْكِنُ الْقَبْضُ عَلَى الْجَمْرَةِ إِلَّا بِصَبْرٍ شَدِيدٍ وَتَحَمُّلِ غَلَبَةِ الْمَشَقَّةِ كَذَلِكَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَا يُتَصَوَّرُ حِفْظُ دِينِهِ وَنُورِ إِيمَانِهِ إِلَّا بِصَبْرٍ عَظِيمٍ »(٢).

• وفي الحديث إشارة إلى الطائفة المنصورة التي تعيش الغُربة الثانية لدين الله تعالى، وهؤلاء ينالون أجرًا عظيمًا على ثباتهم على الدين؛ لدرجة يفضل أجرهم في

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: الأمر والنهي، ح (٤٣٤١)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة المائدة، ح (٣٠٥٨)، وابن حبان، ح (٣٨٥)، انظر صحيح ابن حبان (٢/ ١٠٨)، والحاكم، ح (٧٩١٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٥٣٩).

أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجاء تعليل ذلك في آثار أخرى بأن الصحابة يجدون على الحق أعوانًا، وهؤلاء لا يجدون على الحق أعوانًا.

وهذا لا يتنافى مع كون الصحابة أفضلَ البشَر، وقرنهم خير القرون، ولن يبلغ أحد من الناس بعمله مُدَّ أحدهم أو رُبُعَه أو خُمُسَه أو عُشْرَه، لكن الله يضاعف لهم الأجر؛ لأن الغريب في آخر الإسلام كالغريب في أوله، والأعمال تشرف بثمراتها. وطوبى للغرباء.

• وسوف يأتي زمان عند قلَّة الصبر والمعين، وشدة المحن وابتعاد الأمَّة عن عهد النبوة يزداد فيها الشوق لرؤية النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ** }(١).

يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ حَثُّهُمْ عَلَى مُلَازَمَةِ مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَمُشَاهَدَتِهِ حَضَرًا وَسَفَرًا لِلتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ وَتَعَلُّمِ الشَّرَائِعِ وَحِفْظِهَا لِيُبَلِّغُوهَا، وَإِعْلَامُهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ وَمُلَازَمَتِهِ »(٢).

• ورؤية النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام بشارة خير، وتثبيت للمؤمن، وشحذ لهمَّته، وهي طمأنة مَن يراه أنه من أهل الخير.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفضائل، ب: النظر إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتمنيه، ح (٢٣٦٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١١٩).

قال ابن حجر: « فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ رَآهُ وفقد مثل أَهله وَمَا لَهُ، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا يَتَمَنَّى مِثْلَ ذَلِكَ فَكَيْفَ بِهِمْ مَعَ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُمْ وَمَحَبَّتِهِمْ فِيهِ »(١).

• ولم يبق للمؤمن بعد موت النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا المبشِّرات، وهي الرؤية الصالحة التي يراها المؤمن، أو تُرَى له، وأهم هذه الرُّؤَى هي رؤية صاحب الرسالة نفسه؛ لأن الشيطان لا يتمثَّل بصورته الحقيقيَّة.

**(اللهم مَتِّعْنا برؤية الحبيب محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة).**

**(اللهم أحْيِنا على سُنَّتِهِ، وتوَفَّنا على مِلَّتِهِ، واحْشُرْنا تحتَ لِوائِهِ، وأوْرِدْنا حَوْضَهُ، واسْقِنا من يدِه الشريفةِ شَرْبَةً لا نَظْمَأُ بعدَها أبدًا، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنا وبَيْنَه كما آمنَّا بِهِ ولم نرَهُ، ولا تُفَرِّقْ بينَنا وبينَهُ حتى تُدْخِلَنا مُدْخَلَهُ) آمين.**



(١) فتح الباري (٦/ ٦٠٧).

# الفصل التاسع
## العلامات الصُّغْرَى التي لم تقع

لا يُشترط وقوع العلامات الصُّغْرَىٰ كلِّها كي تبدأ العلامات الكُبْرَىٰ، فلا نعلم دليلًا علىٰ ذلك؛ بل هناك كثير من العلامات الصُّغْرَىٰ تكون متداخلة مع الكُبْرَىٰ وملازمة لها إلىٰ قيام السَّاعة، وهناك علامات ستقع بعد الدَّجَّال ويأجوج ومأجوج: كرفع القرآن، وتخريب الكعبة، وانتشار الزنا بشكل فاحش، وعودة الوثنيَّة القديمة.

### ◘ العَلَامَةُ الأولَى: حِصَارُ بعضِ البُلْدانِ الإسْلاميَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ** }[1]. ثم قال أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «شَهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ».

**القَفيز**: مكيال معروف لأهل العراق، وهو اثنا عشر صاعًا.

**المُدْي**: مكيال أهل الشام وهو يسع قرابة الاثنين وعشرين صاعًا.

**الإِرْدَبّ**: مكيال أهل مصر، وهو يسع أربعة وعشرين صاعًا.

**وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**: فيه إشارة إلىٰ أن الأمَّة إذا وصلت لتلك المرحلة فإنها عادت من حيث بدأت، وعادت للإسلام غربتُه التي تتطلَّب دعوة للتوحيد، ثم جهاد لتحرير البلاد والعباد من جديد كما حصل للرعيل الأول.

• وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: لاتقوم السَّاعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح (٢٨٩٦).

ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا }**(١).

• قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَفِي مَعْنَى مَنَعَتِ الْعِرَاقُ وَغَيْرِهَا قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ أَحَدُهُمَا لِإِسْلَامِهِمْ فَتَسْقُطُ عَنْهُمُ الْجِزْيَةُ وَهَذَا قَدْ وُجِدَ، وَالثَّانِي وَهُوَ الْأَشْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَجَمَ وَالرُّومَ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْبِلَادِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَمْنَعُونَ حُصُولَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ.. وَقِيلَ: لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون مالزمهم مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ تَقْوَى شَوْكَتُهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَمْتَنِعُونَ مِمَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ »(٢).

• والحديث فيه إشارة عجيبة أن المنع في العراق بسبب العَجَمِ، وهي تقال لأهل الشرق، أو لغير العرب ممن لا يتكلمون العربيَّة، أما بالنسبة للشام فالمنع من قِبَل الرُّوم، ويعني بها قوميَّة معينة، وفي الغالب إشارة إلى نصارى الغرب.

• وقد يكون حصل هذا المعنى بهجمة التتار على العراق، وبهجمة الصليبيين على الشام، والأمر يحتمل ذلك.

• وفي الحديث الثاني إشارة إلى حصار العراق، ثم ثنَّى بالشام، ثم ربط الراوي بين هذين الحديثين، وبين خروج المهدي الخليفة الذي يحثو المال ولا يعدُّه عدًّا، مما قد يوحِي أن حصار العراق قد حصل في زماننا، ثم يصيب الشام، ويُثَلِّثُ بمصر.

ووفق هذا التأويل يمكن القول إن حلقات هذه الإشارة النبويَّة لم تكتمل،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ح (٢٩١٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢١٩).

فحصار العراق الذي وقع فقد حصل في الغالب باسم ومباركة ما يعرف بالأمم المتحدة، وهؤلاء الأليق بوصفهم أن يقال لهم عَجَمٌ، فهي تشمل الروم وغيرها، أما حصار الشام فسيختص به الروم وحدهم، وليس بقرار دولي عالمي؛ لذا يمكن اعتبارها من العلامات التي لم تقع.

## ◘ العَلَامَةُ الثانيةُ: حِصارُ المدينةِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلَاحِ** }[1]. «وسَلَاحٌ قريب من خيبر».

مَسَالِح: جمع مَسْلَحَة، وأصله موضع السلاح ثم استعمل للثَّغْرِ، والمراد: أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر من المدينة.

• هذا الحديث يُشير إلى تضييق الكفار على المسلمين، لدرجة أنهم يلجئوهم إلى مدينة رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في آخر الزمان، ويكون أبعد ثغور المسلمين ثغر بمنطقة سَلَاح القريبة من خيبر، وهي تبعد عن المدينة قرابة المائة وستين كيلومتر.

• وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الدَّهْلَوِيُّ: « الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْمُسْلِمِينَ زَمَنَ الدَّجَّالِ حِينَ يَأْرِزُ الْإِسْلَامُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُطَهَّرَةِ، أَوْ يَكُونُ هَذَا فِي زَمَانٍ آخَرَ..»[2].

وهذا الاحتمال (في زمان آخر)، يجعلنا نقول: إنه من المعلوم أطماع اليهود في

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٥٠)، وابن حبان في التاريخ، ح (٦٧٧١) وقال محققه: حديث صحيح، صحيح ابن حبان (٥/ ١٧٤)، وأحمد، ح (٩٢٣٨). «وسَلَاحٌ قريب من خيبر».
(٢) عون المعبود (١١/ ٣٢١).

خيبر، وخريطتهم الموهومة لدولتهم (إسرائيل الكُبْرَىٰ) تُدرَج خيبر فيها، والمؤامرات التي تُحاك لتفتيت الدول العربيَّة، (الشرق الأوسط الجديد) إلىٰ عدة دُوَيْلات، ونسمع أن من الدول المستهدفة في ذلك مصر والجزيرة العربية (حفظ الله بلاد المسلمين من كل كيد).

## ◘ العَلَامَةُ الثالثةُ: الجَهْجَـاهُ والقَحْطَـاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ }**[(١)]، وعنه أيضًا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ لاَ تَقُومُ السَّاعة، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ }**[(٢)].

• **{ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ }:** إشارة أنه لَقَبٌ له، وظاهر الحديث أنه يملك علىٰ سبيل التغلُّب.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ: قَوْلُهُ: **{يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ}**: كِنَايَةٌ عَنْ غَلَبَتِهِ عَلَيْهِمْ وَانْقِيَادِهِمْ لَهُ، وَلَمْ يُرِدْ نَفْسَ الْعَصَا، لَكِنْ فِي ذِكْرِهَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ خُشُونَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَسْفِهِ بِهِمْ. قَالَ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ يَسُوقُهُمْ بِعَصَاهُ حَقِيقَةً كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ وَالْمَاشِيَةُ لِشِدَّةِ عُنْفِهِ وَعُدْوَانِهِ، قَالَ: وَلَعَلَّهُ جَهْجَاهٌ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ وَأَصْلُ الْجَهْجَاهِ الصِّيَاحُ وَهِيَ صِفَةٌ تُنَاسِبُ ذِكْرَ الْعَصَا ». ثم قال ابن حجر: « وَيَرُدُّ هَذَا الِاحْتِمَالَ إِطْلَاقُ كَوْنِهِ مِنْ قَحْطَانَ فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَحْرَارِ »[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ح (٢٩١١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: ذكر قحطان، ح (٣٥١٧)، ومسلم: الفتن، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ح (٢٩١٠).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٣١).

• ومن المحتمل أن يكون القحطاني يملك بعد المهدي، وأنه يَسْتَنُّ بسُنَّتِهِ، وعلىٰ يديه تُفتَح روما، فقد وردت آثار تدل علىٰ ذلك لكنها لا ترتقي للحُجَّة أو القطع بها (١).

## ◘ العَلامَةُ الرابعةُ: كَثرةُ النِّساءِ وقِلَّةُ الرِّجالِ:

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ، بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ** }(٢).

**يَلُذْنَ**: أي يحتمين، قيل لكونهن نساءه وسراريه، أو لكونهن قراباته أو من الجميع.

• يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَأَمَّا سَبَبُ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ فَهُوَ الْحُرُوبُ وَالْقِتَالُ الَّذِي يَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَتَرَاكُمُ الْمَلَاحِمِ »(٣).

وعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « إِذَا عَمَّتِ الْفِتْنَةُ مَيَّزَ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ حَتَّىٰ يَتْبَعَ الرَّجُلَ خَمْسُونَ امْرَأَةً تَقُولُ: يَا عَبْدَ اللهِ اسْتُرْنِي يَا عَبْدَ اللهِ آوِنِي »(٤).

ويشهد لذلك أحاديث الفتن والملاحم، منها فتنة حَسْرِ الفرات عن جبل من ذهب، فتحصد من كل تسعةِ رجالٍ سبعةً، أو من كل عشرةِ رجالٍ تسعةً، وكذلك الملحمة الكُبْرَىٰ التي تحصُد كثيرًا من رجال الأمَّة.

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ٨٤)، والطبراني في [المعجم الكبير (١/ ٣٣٨) والأوسط (١/ ٢٠٢).
(٢) أخرجه البخاري: الزكاة، ب: الصدقة قبل الردِّ، ح (١٤١٤)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح (١٠١٢).
(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ١١٨).
(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٢٤٣).

## ◘ العَلَامَةُ الخامسةُ: أولُ قبائلِ العربِ هَلا كًا قريشٌ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَسْرَعُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَنَاءً قُرَيْشٌ، وَيُوشِكُ أَنْ تَمُرَّ الْمَرْأَةُ بِالنَّعْلِ، فَتَقُولَ: إِنَّ هَذَا نَعْلُ قُرَشِيٍّ** }(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: { **يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا** }، قَالَتْ: فَلَمَّا جلَسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، لَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا ذَعَرَنِي، قَالَ: { **وَمَا هُوَ؟** } قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمَكَ أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لَحَاقًا، قَالَ: { **نَعَمْ** }، قَالَتْ: وَمِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: { **تَسْتَحْلِيهِمْ الْمَنَايَا، وَتَنَفَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ** }، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ،؟ قَالَ: { **دبًى، يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعة** }(٢)، وَالدَّبَى: الْجَنَادِبُ الَّتِي لَمْ تَنْبُتْ أَجْنِحَتُهَا.

وسبب أن أول القبائل هلاكًا قريش هو الحَسَد من الأمَّة لهم على مكانتهم؛ فالمعلوم أن الناس تبَعٌ لقريش، وأن الخلافة فيهم، فهذه المكانة العالية تُوجِد لها أثرًا عميقًا في النفوس المريضة في آخر الزمان، فيتآمرون عليهم.

• وهذه العلامة قد تقع بعد المهدي، وحال الناس وقتها كما أخبر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنهم كصغار الجراد يأكل بعضهم بعضًا حتى تقوم السَّاعة، ولعل بعد إفناء قريش مباشرة تكون علامة الريح التي تقبض أرواح من تبقَّى من المؤمنين ثم تقوم السَّاعة على شرار الخلق.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٨٤٣٧)، قال العدوي: صحيح الصحيح المسند (٤٣٦).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٤٥١٩)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧- ٢٨)، وذكر أن رجاله رجال الصحيح.

## ◘ العَلَامَةُ السَّادسةُ: كلامُ السِّباع والجمادات:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ** }(١).

• هذا الحديث يُشير إلىٰ تغيُّر جوهري في قوانين الأشياء، وخرق النواميس، ولقد وقع مثل ذلك في عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من كلام الذئب للراعي، وكلام البقرة لصاحبها عندما حمل عليها فقالت له: { **إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا** } (٢).

ولعل هذا يكون بين يدي السَّاعة، أو خلال الفتن والملاحم العظمىٰ.

وإن حدث في هذا العصر من الاختراعات كالجوَّال الذي يربطك بأي مكان في العالم صوتًا وصورةً، وأجهزة تنصُّت صغيرة جدًّا تسجِّل بالصوت والصورة، فإذا كان هذا في مقدور البشر مع أن الله سبحانه هو المقدِّر الحقيقي لها، فهل نستغرب من حصول تلك العجائب بقدرة الله في آخر الزمان؟ فسبحان من أنطق لسان الإنسان، وأعجم لسان السِّباع، وسبحان من ينطق ألسنتها في آخر الزمان.

ولا يجوز القول بأن المراد من ذلك هو الإشارة إلىٰ المخترعات الحديثة كأجهزة اللاسلكي والجوال وغيرها من المخترعات، لأن الأمر لم يقتصر علىٰ الجمادات بل تعداها إلىٰ العجماوات كالأسود والسِّباع، وكذلك فخذ الإنسان، وهذا يجعلنا نحمل الحديث علىٰ حقيقته، ولعل وقوع هذه الخوارق يكون في زمن الدجَّال نفسه المعروف بكثرة الخوارق، كما لا توجد قرينة تصرف الحقيقة إلىٰ غيرها،

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١١٧٩٢)، والترمذي: أبواب الفتن، ح (٢١٨١)، وقال: حسن صحيح.
(٢) والحديث عند البخاري: ك: المناقب، ح (٣٦٦٣)، ومسلم: فضائل الصحابة، ح (٢٣٨٨). وانظر فتح الباري (٧/ ٢٣،٣٣).

وليس هناك مانع يمنع من تصوُّر وقوع الأمر؛ لأن وقوع ذلك يدخل في باب الممكن لا المستحيل، بل إخبار النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحصول ذلك في الحديث الصحيح يعزِّز حمل الحديث على حقيقته.

## ▫ العَلَامَةُ السَّابعةُ: شياطينُ تقْرأُ علَى الناسِ قُرآنـاً:

عَنْ عَبدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا »(١).

• يقول النوويُّ: « معناه تقرأ شيئًا ليس بقرآن، وتقول إنه قرآن لِتَغُرَّ بِهِ عَوَامَّ النَّاسِ فَلَا يَغْتَرُّونَ »(٢).

• وقَالَ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ »(٣).

• وهذه العلامة في ظنِّي أنها تقع عند إحكام الفتن، ويحتمل أن تكون في زمن الدجَّال ليكونوا عونًا له على فتنة الناس، وقد يكون الأجل الذي يتحرَّر فيه الدجَّال من قيوده هو عينه الأجل الذي تُحَرَّرُ فيه هذه الشياطين.

## ▫ العَلَامَةُ الثامنةُ: أنْ يكونَ الرُّومُ أكثرَ الناسِ عندَ قِيامِ السَّاعةِ:

قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: { **تَقُومُ السَّاعة وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ** }، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، ب: في الضعفاء والمجروحين (١/ ١٢).
(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٠٠).
(٣) أخرجه مسلم في المقدمة، ب: في الضعفاء والمجروحين (١/ ١٢).

مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ »(١).

• في هذا الحديث إشارة واضحة إلىٰ أن الروم ملوك الأرض والمتنفذون بالقرار حين قيام السَّاعة (وفي الحديث تفرُّد بصيغة تقوم السَّاعة).

• وفيه إشارة إلىٰ سَعَةِ فهم ودراية عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في شئون الملك والسياسة، وتقلبات الدول، وأسباب بقائها أو انهيارها، فهذه الخصال الخمس هي العاصمة للدول من الانهيار، وهي التي حقَّقت للرُّوم السيادة في الأرض.

وقد تخلَّفت هذه الخصال الخمس في الأمَّة الإسلاميَّة بشكل واضح، فالمصائب تترادف علىٰ الأمَّة، ولا إفاقة، ولا كَرَّة علىٰ الأعداء، وظلم الحكام واضح وبيِّنٌ، فلا القوانين تمنعهم، ولا النفوس مهيَّأة للوقوف أمام ظلمهم، ولا الشعوب قادرة علىٰ دفعه، وهذا هو سبب هوان الأمَّة.

## ◘ العَلَامَةُ التَّاسِعةُ: انتِفَـاخُ الأَهِلَّة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، - رَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قَالَ: ﴿ **مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعة أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قُبُلًا، فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَأَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفُجَاءَةِ** ﴾(٢)، وفي رواية: ﴿ **مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعة انْتِفَاخُ الْأَهِلَّةِ، حَتَّى يُرَى الْهِلَالُ لَلَيْلَةٍ، فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ** ﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: تقوم السَّاعة والروم أكثر الناس، ح (٢٨٩٨).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، ح (٩٣٧٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع م٢، ح (٥٨٩٩).
(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، ح (٣٣٥٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة م٦، ح (٢٢٩٢).

• ولعل انتفاخ الأهلة من باب العقوبة للأمَّة التي تختلف لأسباب سياسيَّة أو غيرها في رؤية الهلال؛ مما يترتَّب عليه اختلافهم في بداية العبادة أو نهايتها، وماداموا مختلفين في ظل هذا التطور العلمي، وهذه الدقة في معرفة منازل القمر، إذًا فليعاقَبوا في تلاعب منازل القمر بهم.

ـ ففي آخر عام ١٤٢٥ هجري حصل اختلاف في تعيين التاسع والعاشر من ذي الحجة بين أهل الحرمين، وقد تُحرَمُ الأمَّة بسببها بركة ليلة القدر، ويوم عرفة.

• انتفاخ الأهِلَّة يُشير إلى تغيُّر جوهري في منازل القمر في آخر الزمان، ما الحكمة من ذلك؟ وهل لها علاقة بحدَثٍ كونيٍّ آخر أعظم منه؟ الله أعلم.

المهم أن لهذه العلامة أسرارًا سوف تظهر لأهلها في وقتها.

## ◘ العَلاَمَةُ العاشِرَةُ: عِنْدَما يَتكلَّمُ الحَجَرُ والشَّجَرُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ** }[1].

تكرَّر ذكر هذه العلامة عند الحديث عن العلامة السادسة (**كلام السباع والجمادات**)؛ لكننا هنا أفردناها لتميزها وأهميتها، فهذا الحديث يُشير إلى بشارة للأمَّة بالانتصار على اليهود بعد قتالهم وكسر شوكتهم .

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: قتال اليهود، ح (٢٩٢٦)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ح (٢٩٢٢).

• زمان هذه المعركة: قرب السَّاعة، أو أنها بين يدي السَّاعة بين المسلمين وبين الدجَّال وشيعته من اليهود، وهذا القول أيَّده ابن حجر في فتح الباري[١]، واستدلوا بحديث ذُكر فيه: { **قَالَ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ** }[٢].

**والْغَرْقَدَة**: نوع من الشجر يكثر في أرض كنعان (المسماة فلسطين)؛ مما يدل على أن المعركة تحصل في مكان واحد هو أرض كنعان.

• قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَقَاءِ دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ الَّذِي يُقَاتِلُ الدَّجَّالَ وَيَسْتَأْصِلُ الْيَهُودَ الَّذِينَ هُمْ تَبَعُ الدَّجَّالِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى»[٣].

• قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْغَرْقَدُ نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُنَاكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَّالِ وَالْيَهُودِ»[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ١٢١). وشرح النووي على مسلم (٩/ ٢٤٢).
(٢) أخرجه ابن ماجة، ح (٤٠٧٧)، وأبو داود، ح (٤٣٠٠) رواته ثقات، عون المعبود (١١/ ٤٤٩ وما بعدها) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) فتح الباري (٦/ ١٠٣).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٥).

ومرحلة الدجَّال تتخلَّلُها كثير من الخوارق التي يحاول من خلالها الدجَّال أن يُلَبِّس على الناس دينهم، فناسب ذلك أن يُنصَر المسلمون ببعض الخوارق كرامة لهم، وشدًّا لأزرهم، وطمأنة لقلوبهم، كأن يشاركهم في المعركة الشجَرُ والحجَرُ.

• وهناك رأي آخر يرى أنها معركتان: **الأولى**: يتم فيها إذلال اليهود وتدمير قوَّتهم وكسر شوكتهم، وتحويل اليهود إلى أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتَّتة في الأرض، وهذا ما تشير إليه سورة الإسراء: ﴿ **فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧** ﴾ [الإسراء]، حيث أشارت هذه الآية إلى إساءة وجه اليهود وتتبير علوِّهم، وليس إفنائهم.

**والمعركة الثانية**: يتم فيها القضاء على اليهود نهائيًّا، حيث يخرج الدجَّال من جهة الشرق ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان في إيران.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ** }(١).

فاليهود الذين سيقاتلهم المسلمون مع الدجَّال هم غير اليهود الموجودين الآن في أرض كنعان (فلسطين).

• كما دلت أحاديث أخرى على أن المرحلة التي يخرج فيها الدجَّال لا يكون هناك تواجد لليهود في أرض كنعان (فلسطين)؛ لأنها ستكون عاصمة المسلمين، ورمز قوتهم. وتواجدهم الحقيقي سيكون في بيت المقدس.

**من هذه الأحاديث:**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ح (٢٩٤٤).

قول أُمِّ شَرِيكٍ بِنْتِ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ الله فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ { **هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ** }[(١)].

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعة حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَالله لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ الله، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ**.. الحديث }[(٢)].

في هذا الحديث إشارة إلى معركة عظيمة بيننا وبين الروم في الشام، ثم ينطلقون إلى أوربا فاتحين القسطنطينيَّة، وهذا يؤكد أنه ليس هناك وجود لدولة إسرائيل إذ لا ينشغل المسلمون عنهم بقتال الروم وفتح القسطنطينيَّة في أوروبا.

ورجوع المسلمين إلى الشام واستعدادهم لقتال الدجَّال يبيِّن أن الاستعداد يكون في بيت المقدس، كما في حديث أبي أمامة السابق.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ك: الفتن، ب: فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، ح (٤٠٧٧).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط السَّاعة، ب: فِي فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ح (٢٨٩٧).

• **لماذا الشجر والحجر؟**

سلَّط الله تعالىٰ الريح علىٰ عاد، والطوفان علىٰ قوم نوح، والبحر علىٰ فرعون، والشجر والحجر علىٰ اليهود في آخر الزمان، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

**وثمة ملحوظة:** مَن يشاهد الهجمة الشرسة من اليهود علىٰ الشجرة المباركة في القرآن (الزيتون- النخيل) يدرك ويعي ظلم اليهود وغطرستهم ليس علىٰ البشر فقط، بل تعدتها لتشمل الشجر والحجر، وتصرفهم هذا إنما يدل دلالة صريحة علىٰ قرب هذه المعركة، والله غالب علىٰ أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

• إن تجمع اليهود في فلسطين فيه إشارة واضحة علىٰ صدق نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدق ما يخبر به، وبشارة مطمئنة علىٰ قرب معركة الخلاص منهم.

• وكائنات الكون تتألم لسطوة الكافر وشركه وافترائه علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بغير علم. قال تعالىٰ: ﴿ **وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾** ﴾[مريم].

انظر كيف تألَّمت أعظم عناصر الكون وموجوداته، وكادت أن تزول لافتراء النصارىٰ علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فيكف يكون حال الأرض المقدَّسة عندما يسكنها أعظم الناس افتراءً علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ واجتراءًا عليه؟! وكيف بتراب تشبَّع بدماء الشهداء، واختلط بأجساد الأنبياء والربَّانيِّين والصحابة؟!

الأرض المقدسة كلها تتألم لسُكنَىٰ اليهود بها بما يحملونه وورثوه من ظلم وفساد وافتراء علىٰ الله، ولعل أكثر موجودات الأرض المقدسة ألمًا الشجر والحجر

(انظر لتلك الكتل الأسمنتيَّة من الجدار العازل) قد نالا الحظ الأوفر من ظلم اليهود، إذًا فليكن لهما مع المسلم شرف تطهير الأرض المقدسة من أمَّة لها النصيب الأوفر في كل افتراء على دين الله سبحانه وتعالى وعلى أهله في الأرض.

• والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبشِّر المؤمنين في آخر الزمان، كما كان يبشِّر أصحابه في بداية الدعوة بفتح كنوز كسرى وقيصر، ونصرة هذا الدِّين حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه، تأتي البشرى لهم من البشير المبشِّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقت قلَّ فيه الناصر لهم في الأرض، فإن عين الله ترعاهم، وإن نصرته لهم ليست ببعيدة عنهم، وإن اشتدت ظلمة الظلم على المسلمين في الأرض حتى كادت تغيب عنهم الرؤية الجليلة لفرج الله ونصره.

فإن وراء هذه الظلمات شمسًا مُشرقة وفَجرًا جديدًا يحمل في ثناياه كلَّ معاني الخير والبركة والعزَّة للمسلمين.

فيجب علينا ألا يداخلنا اليأس من روح الله ونصرته، وألا ننخدع بانتفاش الباطل وقوته في الأرض، وألا نستعظم قوة اليهود ومَن وراءهم إلى حدٍّ يجعلنا نستسلم للأمر الواقع، ونستبعد معه نصرة الله، ولا نستعدُّ ونُعِدُّ العُدَّة لإرهاب عدوِّ الله وعدوِّنا.

• إن المسلم عندما يرى أمامه بشرى الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصر على اليهود، والتمكين في الأرض، هذا النصر والتمكين الذي سيشاركه فيه الشجر والحجر، عندها تدِبُّ الحياة في المسلم من جديد، ويستعيد ثقته بدينه أولًا، ثم ثقته بنفسه كحاملٍ لِلواء أعظم رسالة عرفتها البشريَّة، فيتحرك من جديد ليترجم معاني هذه الرسالة في

الأرض، وقد استنار بنور الله سبحانه وتعالى، ترافقه بشرى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبدر الغلبة والتمكين له ولرسالته، وهزيمة اليهود وأعوانهم في الأرض.

مما يرفع همَّة المسلمين ويشحَذُ عزمَهم للعلم والدعوة والعمل والتربية والجهاد، وصدق الله: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾[النجم].

انتهى الجزء الأول

**ويليه بمشيئة الله تعالى الجزء الثاني، ونبدأه بكتاب الفتن.**

**يليه كتاب المبشرات، ثم علامات السَّاعة الكُبْرَى، ونهاية البشريَّة.**

## فهرس الجزء الأول

❁ ❁ ❁

## ➢ اقرأ في هذا الكتاب:

- علم أشراط الساعة.
- العلامات الواقعة في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلافة الراشدة.
- نصيحة نبوية غابت عن المسلمين.
- العلامات الصغرى الصريحة (خمس وثلاثون علامة).
- العلامات الصغرى التي لم تقع (عشر علامات).

